جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

اليأس
(دراسة قرآنية)

إعداد
فاطمة أحمد محمود الحاج حسن

إشراف
د. محسن الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2011م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اليأس

(دراسة قرآنية)

إعداد

فاطمة أحمد محمود الحاج حسن

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2011/12/1م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. د. محسن الخالدي / مشرفاً ورئيساً	.....
2. د. حاتم التميمي / ممتحناً خارجياً	.....
3. د. عودة عبد الله / ممتحناً داخلياً	.....

الإهداء

إلى كل من أضاف جهداً ومعنىً إلى حركة الحياة ليقتل اليأس في
مهده، حيث تنطلق الأمة لتصوغ حياتها من جديد
إلى روح والدي الحبيب رحمه الله تعالى
إلى مقام أمي الغالية
إلى زوجي الغالي أبي المجد
أهدي هذا الجهد، سائلة الله سبحانه أن يتقبله في أعمالي
الصالحات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشكر والتقدير

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وبعد:

فإني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور محسن الخالدي حفظه الله ورعاه؛ لتفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة؛ ولما أظهره من حسن التعامل والتوجيه والإرشاد والمتابعة؛ من أجل إخراج هذا العمل بهذه الصورة، فجزاه الله عني كل خير، ونفع به الإسلام والمسلمين.

وإنه من الواجب عليَّ في هذا المقام أن أتقدم بالشكر والامتنان لعضويْ لجنة المناقشة؛ الدكتور حاتم جلال التميمي والدكتور عودة عبد الله عودة لتكرمهما بمناقشة هذه الرسالة، سائلة المولى عز وجل أن يبارك في علمهما وأن ينفع بهما الإسلام والمسلمين.

كما لا أنسى أن أقدِّم شكري وتقديري لعمي العزيز الشيخ أبي ربيع حفظه الله؛ لما أبداه لي من ملحوظات ولفتات ومتابعات لُغوية، فبارك الله فيه وأبقاه ذخراً للإسلام.

وإني أشكر كل من أبدى لي نصيحةً، أو أعارني كتاباً، أو لفت نظري إلى معلومة أو جُزئيّة تكمِّلُ هذا البحث، وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم جميعاً، والحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

اليأس

(دراسة قرآنية)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـــا تمـــت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name: **اسم الطالبة:**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص	ط
مقدمة	**1**
الدراسات السابقة	2
أهمية الدراسة	3
أسباب اختيار الموضوع	3
أسئلة الدراسة	4
أهداف الدراسة	4
منهجية الدراسة	5
حدود الدراسة	5
الفصل الأول: تعريف اليأس وبيان دلالته في السياق القرآني	6
المبحث الأول: تعريف اليأس	7
المطلب الأول: اليأس في اللغة	7
المطلب الثاني: اليأس في الاصطلاح	10
المطلب الثالث: اليأس عند علماء النفس	11
المبحث الثاني: اليأس في السياق القرآني	12
المطلب الأول: عرض مادة (يئس) في القرآن الكريم	12
المطلب الثاني: الملحوظات العامة لورود مادة (يئس) في القرآن الكريم	13
المطلب الثالث: معاني مادة (يئس) في القرآن الكريم	14
المطلب الرابع: اللطائف واللفتات لورود مادة (يئس) في القرآن الكريم	15
المبحث الثالث: نظائر اليأس في القرآن الكريم	17
المطلب الأول: القنوط	17
المطلب الثاني: الإبلاس	20

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: الخيبة	21
المطلب الرابع: السأم	23
المطلب الخامس: الهلع	24
الفصل الثاني: صور اليأس وموقف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منه	26
المبحث الأول: صور اليأس	27
المطلب الأول: اليأس من رحمة الله	27
المطلب الثاني: اليأس من إنزال الغيث	30
المطلب الثالث: يأس الكفار من الآخرة	33
المطلب الرابع: يأس الكفار من دين الله	37
المطلب الخامس: اليأس من الإقناع	41
المطلب السادس: اليأس من المحيض	45
المبحث الثاني: موقف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من اليأس	48
الفصل الثالث: أسباب اليأس وجزاء اليائسين	57
المبحث الأول: أسباب اليأس	58
المطلب الأول: الكفر والمعاصي	58
المطلب الثاني: الابتلاءات والمحن	65
المبحث الثاني: جزاء اليائسين	71
المطلب الأول: استحقاقهم غضب الله تعالى	71
المطلب الثاني: استحقاقهم العذاب الأليم	72
المطلب الثالث: معاقبتهم بنهي المؤمنين عن موالاتهم	74
الفصل الرابع: سبل الوقاية والعلاج من اليأس	76
المبحث الأول: الإيمان الصادق المتمثل بالصبر والعمل الصالح	78
المبحث الثاني: المحافظة على الصلوات في أوقاتها	82
المبحث الثالث: التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب	85
المبحث الرابع: التمسك بالرجاء والأمل المحمود	88
المبحث الخامس: الإيمان بالقضاء والقدر	92
المبحث السادس: حسن الظن بالله تعالى	95
المبحث السابع: الإكثار من الذكر والدعاء	97

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	الصفحة
المبحث الثامن: الاستجابة لأمر الله تعالى بالانتهاء عن اليأس والقنوط	102
المبحث التاسع: الإيمان بسعة رحمة الله تعالى	106
الخاتمة	110
المسارد	**112**
مسرد الآيات القرآنية	113
مسرد الأحاديث النبوية	122
مسرد الأعلام	123
قائمة المصادر والمراجع	**124**
Abstract	**b**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اليأس

(دراسة قرآنية)

إعداد

فاطمة أحمد محمود الحاج حسن

إشراف

د. محسن الخالدي

الملخص

هذه الرسالة دراسة قرآنية، وهي خطوة على طريق التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، تناولت موضوع اليأس من خلال آيات القرآن الكريم، وقد قُسِّمَتْ إلى أربعة فصول، ومقدمة وخاتمة، كان الحديث في المقدمة عن أهمية هذه الدراسة، وإبراز قيمتها من خلال الحديث عن ما يواجه الأمة الإسلامية من مكر وعداء عالمي، صنع محناً وصعوبات سرَّعت في ظهور اليأس والإحباط بين أبناء هذه الأمة، وأما بالنسبة للفصول، فقد كان الفصل الأول منها يدور حول معنى اليأس في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني، ثم يليه الفصل الثاني بعنوان: صور اليأس وموقف الأنبياء منه، وحمل الفصل الثالث منها أسباب اليأس وجزاء اليائسين، أما الفصل الرابع فقد حوى سبل الوقاية والعلاج التي تحمي الإنسان من شرور اليأس وأضراره.

وكانت كتب التفسير والحديث والأخلاق واللغة والتراجم هي الكتب والمراجع المعتمدة في هذه الرسالة، مع التركيز على كتب التفسير وأقوال المفسرين من علماء هذه الأمة.

وتضمنت الخاتمة عدة نتائج، منها:

1- أن هناك علاقة وثيقة، وتلازماً قوياً بين الكفر واليأس؛ ذلك أنه لا ييأس الإنسان من رحمة الله إلا حين يكفر قلبه، وينقطع ما بينه وبين ربه، وكذلك هو لا يكفر إلا وقد يئس من اتصال قلبه بالله، ولم يَعُدْ له إلى رحمة الله سبيل.

2- أن كل ما جاء في القرآن الكريم من يأس فهو بمعنى القنوط، إلا آية الرعد ﴿أَفَلَمْ يَايْئَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ ، جاءت بمعنى: العلم.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

3- أن ارتكاب المعاصي والذنوب كفيل بأن يوقع الإنسان في أوهام اليأس والقنوط، في حال عدم توبته، وعدم رجوعه إلى الله سبحانه وتعالى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، وصلَّى الله على النبي المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فهذا البحث بعنوان: (اليأس دراسة قرآنية) قدَّمته بين يدي ثُلَّةٍ مباركة من أهل العلم والاختصاص، راجيةً به ثواب الله عز وجل، وأن يَحْسِبَهُ من أعمالي الصالحات التي ألقى بها وجهه الكريم، ولعلي أضفت لَبِنَةً أخرى إلى البناء الضخم، والصرح الشامخ الذي يشيِّده أبناء الإسلام العظيم؛ ليواجهوا به المكر العالمي، والكيد المتسارع لغرس اليأس والقنوط في أرواح الأمة وقناعاتها.

والمتدبر لحركة رحى هذا المكر، وهذا الكيد، فإنه يرى - دونما خفاء ودونما لبس - أن حركة الكفر وأطنابه تُنْصَبُ لتخذيل الأمة وأبنائها، وتيئيسهم من الثبات والنصر، ومن العودة إلى سالف العهد الزاهر، والتاريخ المشرق لأمة الإسلام.

فإن في فتح أبواب الحضارة المادية أمام أبناء الدين، وتغليفها بالفكر الانحلالي والشهوات القاتلة، سلخاً عن التبعية الحقيقية، والمعيَّة الصادقة لدين الله، والنتيجة الحاصلة عندئذ تبعية مسخٍ، ومعيَّة ملوثة لكل ما هو مسموم، وهذا يحول بين المرء وربه وتوفيقه وهداه، حيث ينسلُّ الشيطان وجندُه عند ذلك إلى أرواح الأمة وأفئدتها، فيقطع ما بينهم وبين خالقهم، فتضعف تلك الأرواح، وتهزل تلك الأفئدة، فلا يبقى إلا ميدان اليأس الفسيح تجول فيه خيول الضعف والهزيمة والتبعية المرذولة.

واليأس داءٌ قاتل وعلَّة مستديمة، إن لم تتدارك رحمةُ الله ومغفرته وهداه قلوبَ اليائسين.

وقد حفل القرآن الكريم بمواطن عدَّة يتجلَّى فيها معنى اليأس وصوره وأسبابه، كما رسم لنا طرق الوقاية والعلاج.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تتبعت تحت إشراف الدكتور الفاضل: محسن الخالدي –حفظه الله تعالى- هذه المعاني في كتاب الله عز وجل، فكان هذا البحث الذي أرجو له القبول من الله، فإن أحسنت فبفضل الله وتوفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي التي بين جنبي، سائلة الله المغفرة والهداية.

الدراسات السابقة

بعد البحث والتقصي والتنقيب، تبيَّن لي أن موضوع هذه الرسالة لم يُكتب فيه بشكل مستقل، كرسالة جامعية، أو ككتاب مطبوع، حتى إن موضوع اليأس لم يأخذ مساحة كبيرة في كتب الأخلاق والزهد والحديث، ولكنِّي وجدت كتاباً ومقالاً يتعلقان بموضوع اليأس (دراسة قرآنية) بشكل مباشر أو غير مباشر على النحو الآتي:

1- أما الكتاب، فكان بعنوان "الحزن والاكتئاب على ضوء الكتاب والسنة" لمؤلفه: الدكتور عبد الله الخاطر، بيَّن فيه كاتبُه معنى الحزن والاكتئاب، وتعرَّض لأنواع الحزن، وأعراض الاكتئاب وأسبابه، وبيَّن سبل ووسائل العلاج الشرعية والطبية، وكان هناك تشابه بين موضوع هذا الكتاب وموضوع الرسالة من حيث: الأسباب، ووسائل العلاج، إلا أنه يبقى موضوعاً مستقلاً عن موضوع اليأس، بالإضافة إلى أنه قد تم بحثه في ضوء الكتاب والسنة معاً، وبعيداً عن منهجية التفسير الموضوعي، أما موضوع هذه الرسالة فقد كان دراسة قرآنية موضوعية، وكان أصل هذا الكتاب عبارة عن محاضرة لم يُكْتَبْ لصاحبها –وهو عبد الله الخاطر- أن يقدمَّها بنفسه للقرَّاء، وإنما راجعها وقدم لها الدكتور: عبد الرزاق بن محمد الحمد، ولم أعثر على معلومات النشر لهذا الكتاب، إلا أن حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة للمنتدى الإسلامي.

2- وأما المقال فهو بعنوان: "دلالة اليأس والقنوط في القرآن الكريم" للباحث: عبد الكريم عزيز[1]، تحدث فيه عن معنى اليأس والقنوط، وعن الفرق بينهما فيما لا يتجاوز الصفحتين، ومع أن موضوع المقال يرتبط ارتباطاً مباشراً بموضوع الرسالة، إلا أن هذا الارتباط كان

[1] انظر: ملتقى البيان لتفسير القرآن http://www.bayan-alquran.net/forums/showthread.php?t=3255

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في جانب صغير ومحدود من جوانب هذا الموضوع، ويدخل تحت نطاق الفصل الأول من فصول هذه الرسالة، ولم يتعرَّض كاتبه لأنواع اليأس، أو أسبابه، أو سبل علاجه والوقاية منه، فجاءت هذه الدراسة لتستكمل الموضوع من جميع جوانبه.

أهمية الدراسة

تتبع أهمية الدراسة من الأمور الآتية:

1 - كونها دراسة قرآنية بحتة، جاءت خدمة لأشرف كتاب على وجه الأرض، وللمصدر الأول من مصادر الدين الإسلامي؛ ألا وهو القرآن الكريم.

2 - ارتباطها بالواقع الذي نعيش، حيث سيطر الهمُّ والحزن واليأس على قلوب كثير من الناس؛ نتيجة لكثرة الابتلاءات والمحن والصعوبات.

3 - كونها عالجت خلقاً سيئاً، وداءً مزمناً متفشياً بين كثير من الناس؛ من خلال الوقوف على أسباب هذا الداء، والإشارة إلى أنه صفة من صفات الكفار، وخلق ملازم لهم، وبيان عاقبتهم وجزائهم، وأخيراً وصف سبل الوقاية والعلاج لمثل هذا الداء.

4 - كونها دراسة عَرَضَتْ موضوع اليأس وفق منهجية التفسير الموضوعي لأول مرة، وبالتالي فقد أسهمت هذه الدراسة بإضافة ما هو جديد ومهم على ساحة الدراسات القرآنية الموضوعية.

أسباب اختيار الموضوع

إن سبب اختياري لموضوع هذه الدراسة يكمن في الأمور الآتية:

1 - حبي للكتابة في الدراسات القرآنية، والخوض في غمار التفاسير وأقوال الأئمة والعلماء، وكان هذا هو الدافع الأبرز لاختياري هذا الموضوع كدراسة قرآنية بشكل عام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2 - الميل شخصي، والرغبة في التعرف على ما جاء في القرآن الكريم حول موضوع اليأس بشكل خاص، والذي ولَّد لدي هذه الرغبة، وشجعني لاختيار هذا الموضوع بالإضافة إلى ما سبق: عدم وجود دراسة متخصصة تعالج هذا الموضوع بصورة مستقلة، إضافة إلى أن موضوع هذا البحث كان ضمن المواضيع التي تمت دراستها بشكل مختصر في مساق التفسير الموضوعي لدى الدكتور محسن الخالدي –حفظه الله- عام 2010.

أسئلة الدراسة

ستحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1 - ما معنى اليأس لغة واصطلاحاً؟ وما دلالته في السياق القرآني؟

2 - هل هناك أشباه ونظائر لمصطلح اليأس في القرآن الكريم؟

3 - ما هي صور اليأس وأنواعه الواردة في القرآن الكريم؟ وهل يُذَمُّ اليأس في جميع الأوقات؟

4 - ما موقف الأنبياء من اليأس؟

5 - ما هي الأسباب التي تؤدي إلى اليأس؟ وما هو جزاء اليائسين؟

6 - كيف عالج القرآن الكريم مرض اليأس؟

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1 - الإسهام في بناء مجتمع قوي فعال يحدوه الأمل والرجاء، ويظله الرضا والاستقرار.

2 - تبرئة ساحة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من اليأس والقنوط.

3 - تذكير الناس بأنه لا يأس مع الإيمان ولا إيمان مع اليأس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهجية الدراسة

المنهج المتَّبع في هذه الدراسة هو: المنهج الاستقرائي التحليلي؛ وذلك من خلال تتبع الآيات القرآنية ذات الصلة بمصطلح اليأس ونظائره في القرآن الكريم وجمعها، ومن ثم دراسة هذه الآيات وتحليلها وفق منهجية التفسير الموضوعي، وذلك عبر الخطوات الآتية:

1 - جمع الآيات المتعلقة بموضوع اليأس، وعزوها إلى سورها.

2 - استخراج اللطائف واللفتات لورود مادة اليأس في القرآن الكريم.

3 - دراسة أقوال المفسرين السابقين منهم والمحدثين في الآيات موضوع الدراسة، ونقل ما يتناسب منها مع الموضوع.

4 - اتباع الأسلوب العلمي في توثيق المعلومات، بحيث يتم التوثيق كاملاً عند أول ذكر للمرجع، ثم بعد ذلك الاكتفاء بذكر شهرة المؤلف واسم الكتاب والجزء والصفحة.

5 - الترجمة للأعلام المغمورين الوارد ذكرهم في الرسالة، والاكتفاء بالتعريف بهم في أول ذكر لهم، لذلك من أراد أن يقف على ترجمة علم ما سبقت ترجمته فله أن يرجع إلى فهرس الأعلام في آخر الرسالة.

6 - تدعيم الرسالة بذكر بعض الشواهد من الأحاديث الصحيحة، والأشعار والأقوال المأثورة.

7 - نسبة الأحاديث إلى مصادرها، وإذا كان في الصحيحين فيكتفى بنسبته إليهما، أما إذا كان من مصادر أخرى فإنه يتم ذكر حكم أحد علماء الحديث عليه.

8 - كتابة أبرز النتائج التي تم التوصل إليها في نهاية البحث.

حدود الدراسة

هذه الدراسة محدودة بدراسة اليأس ونظائره التي ترتبط به في المعنى نفسه وهي:(القنوط والإبلاس والخيبة والسأم والهلع)، بالإضافة إلى الآيات التي تحمل معنى اليأس وإن لم يذكر فيها اليأس بصورة مباشرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

تعريف اليأس
وبيان دلالته في السياق القرآني

المبحث الأول: تعريف اليأس

المبحث الثاني: اليأس في السياق القرآني

المبحث الثالث: نظائر اليأس في القرآن الكريم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

تعريف اليأس

المطلب الأول: اليأس في اللغة

اليأس في لغة العرب فيه لغتان: الأولى من يَئِسَ يَيْئِسُ ويَيْأَسُ، مثل حَسِبَ يَحسِبُ ويَحسَبُ، وهذا ورد عن الأصْمَعِي[1،2]، "ويقال إنَّه ليست ياء في صَدرِ كلمةٍ بعدها همزة إلاّ هذه"[3]، والثانية: من أَيسَ يَأيَسُ، وآيَستُه أي: أيأَستُه وهو اليَأْس والإياس، وكان في الأصل الإييَاس بوزن الإيعَاس[4،5]،وقد ذكر ابن سيدة رأياً آخر في هذه المسألة، وهو أن: (أَيِسَ) مقلوب من (يَئِسَ)، وليس بلغةٍ فيه؛ بدليل أنه لو لم يكن مقلوباً لأَعلُّوه، فقالوا: إِسْتُ أآسُ، كِهبْتُ، أو أهابُ؛ فظهورُه صحيحاً يدلُّ على أنه إنما صَحّ؛ لأنه مقلوبٌ عما تَصِحّ عَيْنُه، وهو (يَئِسَ)[6] بالإضافة إلى أنه لا مصدر لقولنا (أيس)، فأما (الإياس) فمصدر (إسْتُ)، ولما لم يكن له مصدر، عُلِمَ أنه لا أصل له، وإنما المصدر: (اليأس)، وهذا من (يَئِسْتُ)[7].

وإذا كان (اليأس) مأخوذاً من (يَئِسَ)؛ فإنه يحتملُ المعاني الآتية:

---

[1] هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع، المعروف بالأصمعي الباهلي، (ت:216هـ)، كان صاحب لغة ونحو، وإماماً في الأخبار والملح والنوادر والغرائب، له تصانيف كثيرة منها: كتاب خلق الإنسان، وكتاب الأجناس، وكتاب الأنواء، وكتاب الهمز، وغيرها كثير، [انظر: ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت:681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة - لبنان، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (3/170 -176)].

[2] انظر: الأزهري، أبا منصور، محمد بن أحمد (ت: 370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ط1/2001م) (13/97).

[3] ابن فارس، أبو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا (ت:395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة (1399هـ/1979م) (6/153).

[4] الإيعاس: هو ضرب من سير الإبل في خطىً مسرعة وواسعة، مع مدِّ أعناقها، [انظر: ابن منظور، أبا الفضل، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت: 750هـ)، **لسان العرب**، دار صادر - بيروت، (ط1/1410هـ)، (6/256)].

[5] انظر: الأزهري، **تهذيب اللغة** (13/97).

[6] انظر: ابن سيده، أبا الحسن، علي بن إسماعيل المرسي (ت:458هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية -بيروت، (ط1/2000م)، (8/631).

[7] انظر: ابن جني، أبا الفتح، عثمان، (ت:392هـ)، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، علم الكتب - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (2/440).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1 - القنوط وقطع الأمل عن الشيء، وهو ضد الرجاء[1].

2 - العِلْم، على لغة النخع[2]، [3]، قال سحيم بن وثيل اليربوعي[4]:

أقولُ لهم بالشِّعْبِ إذ ييسرونني[5] ألم تيأسوا أني ابن فارس زَهْدَمِ [6] [بحر الطويل]

3 - السل؛ وذلك لأن صاحبه ميئوس من شفائه[7]، "ويقال: إنما سمي السل داء يأس، أو داء اليأس؛ لأن إلياس بن مضر[8] مات منه"[9].

قال عروة بن حزام[10]:

---

[1] انظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت 1301هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (49/17).

[2] هي: قبيلة كبيرة من مذحج، واسم النخع: جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك، وقيل له النخع؛ لأنه انتخع من قومه: أي بعد عنهم، نزل بيشة ونزلوا الكوفة، ينسب إليهم من العلماء الجم الغفير: منهم علقمة بن قيس بن يزيد النخعي صاحب ابن مسعود، وإبراهيم بن يزيد النخعي الفقيه المشهور، [انظر: ابن الأثير، أبا الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (ت:630هـ)، **اللباب في تهذيب الأنساب**، دار صادر - بيروت، (طبعة سنة 1400هـ/1980م) (304/3).

[3] انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت 721هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، طبعة سنة (1415هـ / 1995م) (309/1)].

[4] هو: سحيم بن وثيل الرياحي اليربوعي الحنظلي التميمي: شاعر مخضرم، عاش أربعين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام، له مفاخرة مع غالب بن صعصعة والد الفرزدق، وهو القائل: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني، [انظر: ابن حجر، أبا الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، (ط1412/1هـ /1992م) (252/3)].

[5] وفي رواية: يأسروننني، من الأسر، وإنما قال: ييسروننني؛ لأنه كان وقع عليه سباء فضربوا عليه بالميسر يتحاسبون على قسمة فدائه، [انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (260/6)].

[6] انظر: الزبيدي، **تاج العروس** (50/17)، وزهدم: اسم فرس، [انظر: ابن سيده، **المحكم**، (632/8)].

[7] انظر: ابن سيده، **المحكم** (632/8).

[8] هو: إلياس بن مضر بن نزار، أبو عمرو، جاهلي، من سلسلة النسب النبوي، أمه: الرباب بنت حميرة بن معد بن عدنان، سماه أبوه: إلياس؛ ليكون موافقاً لاسم النبي إلياس عليه السلام، وإلياس أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام، وأبوه أول من سن للعرب حداء الإبل، [انظر: السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت:581هـ)، **الروض الأنف**، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار النصر – القاهرة، (ط1387/1هـ/1967م) (61/1 -62). الزركلي، خير الدين بن محمود بن علي الدمشقي (ت:1396هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملايين - بيروت، (ط1980/5) (10/2).

[9] الزبيدي، **تاج العروس** (51/17)].

[10] عروة بن حزام العذري، أحد متيمي العرب وممن قتله الغرام، مات عشقاً في حدود الثلاثين للهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه، وهو صاحب عفراء التي كان يهواها، ولكنه لم يحظ بالزواج بها لغلاء مهرها، فمات من شدة حبه لها، وله ديوان شعر صغير، [انظر: الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت:764هـ)، **فوات الوفيات**، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط2000/1م) (60/2)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِيَ اليَأسُ أو داءُ الهُيامِ شربْتُهُ فإياك عني لا يَكُن بكَ ما بِيا[1] [بحر الطويل]

أما إذا كان (اليأس) مأخوذاً من (أَيِسَ)؛ فإنه يحتمل المعاني الآتية:

1 - الوَجْدْ، قال الليث[2]: "لا أيس، أي: لا وجد، يقال: التأييس: الاستقلال، ما أيسْنا فلاناً خَيْراً أي: ما استقلَلْنا منه خيراً، أي: أردتُه لأستخرِجَ منه شيئاً فما قدَرتُ عليه"[3].

2 - القَهْر[4].

وذكر الأزهري أن من معاني التأييس بالإضافة إلى ما ذكر: التأثير في الشيء، والتليين، من أيِسْتُ الشيء: ليَّنْتُه[5].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كلتا اللغتين (يَئِسَ و أَيِسَ)، وردتا في القرآن الكريم؛ ففي قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ﴾[7]، قراءتان متواترتان؛ قراءة جمهور القرَّاء:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾و ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ﴾ بالهمز، على لغة من يقول: يئست؛ فالياء فاء الفعل، والهمز عينه، وقراءة ابن كثير في رواية البَزِّي: (حتى إذا استايس)، و (فلما استايسوا منه) بغير همز، مع تقديم الألف،

---

[1] انظر: ابن حزام،عروة، **ديوان عروة بن حزام**، تحقيق: القوال، أنطوان محسن، دار الجيل – بيروت ، (ط1/1416هـ/1995م) (ص:53).

[2] هو الليث بن المظفر، هكذا قال الأزهري في مقدمة كتابه، وقال ابن المعتز في كتاب الشعراء من تصنيفه: الليث بن رافع بن نصر بن سيار، كان من أكتب الناس في زمانه، بارع الأدب بصيراً بالشعر والغريب والنحو، وكان كاتباً للبرامكة وكانوا معجبين به، فارتحل إليه الخليل وعاشره فوجده بحرا فأغناه، وذكر الأزهري أنه من المتقدمين، ونحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جمله؛ لينفق كتابه باسمه ويرغب فيه من حوله، [انظر: الحموي، أبا عبد الله، ياقوت بن عبد الله، (ت:626هـ)، **معجم الأدباء**، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/1411هـ/1991م)، (30/5 -31)].

[3] الأزهري، **تهذيب اللغة** (97/13 -98).

[4] انظر: الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب (817هـ)، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة – بيروت (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (ص:684).

[5] انظر: الأزهري، **تهذيب اللغة**، (98/13).

[6] يوسف، آية 110 .

[7] سورة يوسف، آية 80 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على لغة من يقول: (أَيِسْتُ)، نُقِلَتْ العين إلى موضع الفاء، فصار استعفل: استأيس، ثم خُفِّفَتْ الهمزة فصارت ألفاً؛ لسكونها، وانفتاح ما قبلها، فصارت: استايس، وهو من الإياس.

والأصل: الهمز؛ لأنه من اليأس[1]. ويمكن القول بأن القرآن الكريم نزل بلغة من قرأ: (يَئِسَ)[2]، وجميع المواضع التي وردت فيها مادة (اليأس) في القرآن الكريم، يمكن رَدُّها إلى اللغة الأولى، وهي من: (يَئِسَ)، مع التفصيل السابق في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ﴾.

المطلب الثاني: اليأس في الاصطلاح

عرَّف الرَّاغب الأصفهاني اليأس بأنه: "انتفاء الطمع"[3]، وعرَّفه ابن الجوزي بأنه: "القطع على أن المطلوب لا يتحصَّل لتحقُّقِ فواته"[4]، ويمكن الجمع بين التعريفين بلغة سهلة بسيطة؛ فيقال: اليأس هو: انتفاء الطمع في أمر ما لتحقق فواته، والقطع بأنه غير ممكن الحصول، وهذا ما أشار إليه ابن رجب الحنبلي بقوله: "إن الإنسان إذا أيس من شيء استغنى عنه، وقلّ طمعه فيه"[5].

---

[1] انظر: ابن زنجلة، أبا زرعة عبد الرحمن بن محمد، (ت:نحو:403)، **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ط5/1418هـ)، (ص: 366).

[2] انظر: الأزهري، **تهذيب اللغة**، (97/13).

[3] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - لبنان، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (ص:552).

[4] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت:597هـ)، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ط1/1404هـ / 1984م) (ص:633).

[5] ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت:795هـ)، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ط7/ 1417هـ / 1997م)، (ص:300).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: اليأس عند علماء النفس

"يعرِّف آرون بيك[1] اليأس بأنه: حالة وجدانية تبعث على الكآبة، وتتسم بتوقع الفرد السلبية نحو الحياة والمستقبل، وخيبة الأمل أو التعاسة، وتعميم ذلك الفشل في كل محاولة"[2].

ويتضمن اليأس ثلاثة أبعاد[3]:

البعد الأول: الاتجاه السلبي نحو الذات، ويعرف بأنه: تكوين الفرد لاتجاهات سلبية نحو ذاته فيصفها بالعجز والنقص والكسل والتحقير والكراهية.

البعد الثاني: الاتجاه السالب نحو الحاضر، ويعرف بأنه: إحساس الفرد باتجاهات سلبية نحو حاضره متمثلة في سوء الحظ، والعجز عن تحويل الأمور لصالحه، والفشل المستمر، وعدم القدرة على تحقيق الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها.

البعد الثالث: الاتجاه السالب نحو المستقبل، ويعرف بأنه: اتخاذ الفرد اتجاهات تتصف بالخوف من المستقبل، والتشاؤم من سوء الأحوال، أو عدم السعادة في مستقبل حياته.

ويربط علماء النفس بين مفهوم اليأس ومفهوم القنوط مُعَرِّفين الأخير بأنه: حالة انفعالية غير سارة، أو شديدة الإيلام تقترن بالتخلي عن أمل نجاح الفرد في بلوغ غاية أو رغبة[4].

"وخلاصة القول: إن اليأس مرض نفسي يدفع صاحبه لضيق الصدر بالحياة، واشتهاء الموت، وتصور كل ما حوله بمنظار أسود قاتم يُبَدِّلُ المشاهد، وهذا الداء النفسي يحرم المريض هدوء باله، ورغد عيشه، ويَطُوحُ به إحساس ينتابه فيحرقه وميض نفسه، وينغص عيشه، ولا يفارقه هذا الإحساس، ويجسم لديه شعوراً يبعث به على الخوف فتتألم نفسه ويجفوه النوم"[5].

---

[1] باحث وعالم أمريكي، ورئيس لمعهد بيك للعلاج المعرفي والبحوث، وأستاذ الطب النفسي في جامعة بنسلفانيا، أسس العلاج المعرفي في أوائل الستينات من القرن الماضي، وصمم ونفذ عدداً من التجارب لاختبار مفاهيم التحليل النفسي للاكتئاب، [انظر: www.cbtarabia.com].

[2] معمرية، بشير، **بحوث ودراسات في علم النفس**، المكتبة العصرية ــ المنصورة، (ط1/2009م)(62/3 ــ 63).

[3] انظر: المرجع السابق (63/3).

[4] انظر: معمرية، **بحوث ودراسات في علم النفس**، (63/3).

[5] مقال على النت للدكتور فهد ناصر المطوع، بعنوان (اليأس)، انظر: http://www.emanway.com/content/6677/

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

اليأس في السياق القرآني

المطلب الأول: عرض مادة (يَئِسَ) في القرآن الكريم

فيما يلي عرض لمادة (يَئِسَ) على اختلاف صيغها ومشتقاتها في القرآن الكريم، وسيتم عرض الآيات التي تضمنت هذه المادة وفقاً لتكرار ورودها في القرآن الكريم من الكثير إلى القليل، مع ترتيب آيات كل مفردة حسب ترتيب التلاوة بالإضافة إلى بيان رقم الآية واسم السورة ومكية أو مدنية وذلك على النحو الآتي[1]:

المفردة وعدد مرات ورودها	الرقم	الشاهد	السورة	رقم الآية	بيان المكي والمدني من السور
يئس (مرتان)	1	ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ	المائدة	3	مدنية
	2	كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ	الممتحنة	13	مدنية
ييأس (مرتان)	3	إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ	يوسف	87	مكية
	4	أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا	الرعد	31	مدنية وقيل مكية
يئسوا (مرتان)	5	أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي	العنكبوت	23	مكية
	6	قَد يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ	الممتحنة	13	مدنية
ليؤوس (مرة واحدة)	7	وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ	هود	9	مكية

[1] انظر مادة (يئس) عند عبد الباقي، محمد فؤاد (ت:1388هـ)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر - بيروت (طبعة سنة 1407 هـ /1987م) (ص: 769).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استيأسوا (مرة واحدة)	8	فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا	يوسف	80	مكية
استيأس (مرة واحدة)	9	حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ	يوسف	110	مكية
تيأسوا (مرة واحدة)	10	وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ	يوسف	87	مكية
فيؤوس (مرة واحدة)	11	لا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ	فصلت	49	مكية
يئسن (مرة واحدة)	12	وَٱلَّـٰٓـِٔى يَـِٔسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ	الطلاق	4	مدنية
يؤوساً (مرة واحدة)	13	وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا	الإسراء	83	مكية

المطلب الثاني: الملحوظات العامة لورود مادة (يَئِسَ) في القرآن الكريم

1 - عدد السور التي وردت فيها مادة (يَئِسَ) على اختلاف صيغها ومشتقاتها تسع سور.

2 - عدد مرات ورود مادة (اليأس) في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، وذلك في إحدى عشرة آية من آيات القرآن الكريم.

3 - أكثر السور التي وردت فيها مادة (اليأس) هي سور مكية؛ حيث وردت مشتقات هذا المصطلح في خمس سور مكية، وثلاث سور مدنية، وسورة مختلف فيها، هل هي مكية أم مدنية، وهي سورة الرعد[1]، وبغض النظر عن كونها مكية أم مدنية؛ فإن اليأس جاء فيها بمعنى: العلم، لا القنوط الذي هو مدار البحث، كما تجدر الإشارة هنا إلى أن سورة الممتحنة

[1] انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت:911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر - لبنان، (ط1/1416هـ/1996م)، (42/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المدنية، جاء الخطاب فيها موجهاً لأهل مكة وحكمها مكي، على الرغم من كونها نزلت في المدينة[1].

المطلب الثالث: معاني مادة (يَئِسَ) في القرآن الكريم

"ورد اليأس في القرآن الكريم بمعنيين اثنين:

أحدهما: القنوط، ومنه قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[2]، أي: لا تقنطوا من أن يروِّح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرجٍ من عنده، إنه لا يقنط من فرجه ورحمته، ويقطع رجاءه منه إلا القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه[3].

والثاني: العلم، ومنه قوله تعالى في سور الرعد: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[4]، أي: أفلم يعلم ويتبين الذين آمنوا بالله ورسوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً إلى الإيمان به من غير إيجاد آية، ولا إحداث شيء مما سألوا إحداثه[5]، وفُسِّر اليأس بالعلم في هذه الآية؛ "لأن الله تعالى قد أَوْقَع إِلى المؤمنين أَنْ لَوْ شاءَ لَهَدَى النَّاسَ جميعاً فقال: أَفلم ييأسوا علماً، يقول: يُؤَيِّسُهم العلم، فكان فيهم العلم مضمراً، كما تقول في الكلام: قد يَئِست منك أَلاَّ تُفْلح، كأَنَّك قلت: علمته عِلْماً"[6]، فالعلم بالشيء يوجب اليأس من خلافه[7]، وكذلك

---

[1] انظر: الزركشي، أبا عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت:794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، طبعة سنة (1391هـ) (195/1).

[2] سورة يوسف، آية 87 .

[3] انظر: الطبري، أبا جعفر، محمد بن جرير (ت: 310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة (1405هـ) (48/13-49).

[4] سورة الرعد، آية 31 .

[5] انظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (155/13) بتصرف.

[6] الفرَّاء، أبو زكريا، يحيى بن زياد (ت:207هـ)، **معاني القرآن**، عالم الكتب – بيروت، (ط3/1403هـ -1983م)، (63/2).

[7] انظر: البقاعي، أبا الحسن، برهان الدين إبراهيم بن عمر (ت:885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة سنة (1415هـ/1995م) (153/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإن "اليائس من الشيء عالم بأنه لا يكون، نظيره استعمال الرجاء في معنى الخوف، والنسيان في الترك؛ لتضمنهما إياهما"[1]، فعلاقة اليأس بالعلم علاقة مجازية[2].

المطلب الرابع: اللطائف واللفتات لورود مادة (يَئِسَ) في القرآن الكريم

لقد قامت الباحثة بتقسيم هذه المادة إلى قسمين اثنين على النحو الآتي:

أولاً: فعل ماضٍ: يئسن: فعل ماضٍ متصل بنون النسوة، ورد مرة واحدة.

يئسوا: فعل ماضٍ متصل بواو الجماعة، ورد مرتين.

استيأس: فعل ماضٍ مزيد، ورد مرة واحدة.

استيأسوا: فعل ماضٍ مزيد متصل بواو الجماعة، ورد مرة واحدة.

يئس: فعل ماضٍ ثلاثي مجرد، ورد مرتين.

اللفتات والسمات البارزة لورود هذا التصريف في آيات القرآن الكريم

من دلالة صيغة الفعل الماضي (يئسوا) التحقق والمبالغة، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى﴾[3]، هذا إذا كان معنى الآية: أن الكفار سييأسون من رحمة الله تعالى يوم القيامة، وهو المعنى الأول للآية[4]، أما إذا كان معناها: أن الكفار يئسوا من رحمة الله

---

[1] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت:1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر – بيروت (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (84/3).

[2] انظر: أبا عبيدة، معمر بن المثنى، (ت:210هـ)، **مجاز القرآن**، مكتبة الخانجي – القاهرة (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (332/1).

[3] سورة العنكبوت، آية 23 .

[4] انظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت:685هـ)، **تفسير البيضاوي** الموسوم بـ**(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، دار الفكر – بيروت (بدون طبعة ولا سنة نشر) (313/4). أبا السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت:982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (36/7)، الآلوسي، أبا الفضل محمود، (ت: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (149/20).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الحياة الدنيا، وهو المعنى الثاني لها، فإن هذه الدلالة لا تنطبق على هذا المعنى؛ وذلك لأن يأسهم حاصل ومتحقق لا محالة؛ لأنهم لم يرجوا لقاء الله يوماً، ولا قال أحد منهم: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين[1].

ثانياً: صيغة مبالغة: فيؤوس، يؤوسا، ليؤوس، كلها على وزن (فعول)، وقد ورد كل منها مرة واحدة في القرآن الكريم.

1 - صيغة المبالغة هنا تدل على شدة اليأس والقنوط[2]، فـ(يؤوس) تدل على العراقة في اليأس، وانقطاع الرجاء والأمل، والحزن العظيم، والقطع بلزوم تلك الحالة[3].

2 - إن الموصوفين بالدرجة الأولى بشدة اليأس هم: الكفار والمنافقون؛ وذلك لأن لفظ (الإنسان) يفيد الاستغراق، وهو استغراق عرفي، أي أكثر أفراد الإنسان، وأكثر الناس يومئذ كفار، وأكثر العرب مشركون[4].

3 - إن اليأس والقنوط من الأمور التي طُبِعَ عليها الجنس البشري، فمن أراد الله به منهم خيراً عصمه، ومن أراد به شراً أجراه مع الطبع فكان كافراً[5].

---

[1] انظر: البقاعي، **نظم الدرر**، (549/5).

[2] انظر: النسفي، أبا البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود، (ت:710هـ)، **تفسير القرآن الجليل المسمى بـ(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس - بيروت، طبعة سنة (2005م)، (79/4).

[3] انظر: البقاعي، **نظم الدرر**، (587/6).

[4] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1393هـ)، **التحرير والتنوير**، دار سحنون - تونس، (طبعة سنة 1997م)، (191/15).

[5] انظر: البقاعي، **نظم الدرر** (587/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

نظائر اليأس في القرآن الكريم

هناك ألفاظ في القرآن الكريم لها بعض المعاني والدلالات المشتركة والمتقاربة، ويَظُن الناظر فيها لأول وهلة أنها مترادفة، ولكن القرآن الكريم منزَّه عن مثل هذا الترادف؛ "فما من كلمة في البيان العليِّ المعجِز يمكن أن تقوم مقامها كلمة أخرى، وإن شاكهتها[1] والتقت معها في أصل معناها، فلكل كلمة من تنغيمها ومضمونها وشكلها من السمات الخاصة التي لن تكون مجتمعة في غيرها البتة"[2]، ومن الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم وتحمل معنى اليأس: القنوط، والإبلاس، والخيبة، والسأم، والهلع.

المطلب الأول: القنوط

وردت مادة (القنوط) في القرآن الكريم ست مرات، وذلك في خمس سور من سور القرآن الكريم[3]، كلها مكية، ومن الآيات التي ورد فيها القنوط قوله تعالى :﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4].

وقد فُسِّر القنوط هنا باليأس، قال الآلوسي في معرض تفسيره لهذه الآية: "أيها المؤمنون المذنبون لا تيأسوا من مغفرته سبحانه وتفضله عز وجل"[5].

---

[1] شاكهتها تعني: شابهتها، [انظر: ابن سيده، **المحكم**، (132/4)].

[2] توفيق، محمود، **شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية**، (ط1422/1هـ) (ص:33).

[3] وردت مادة (القنوط) في القرآن الكريم، على النحو الآتي: (قنطوا) مرة واحدة في سورة (الشورى:28)، و(تقنطوا) مرة واحدة في سورة (الزمر: 53)، و(يقنط) مرة واحدة في سورة (الحجر:56)، و(يقنطون) مرة واحدة في سورة (الروم:36)، و(القانطين) مرة واحدة في سورة (الحجر:55)، و(قنوط) مرة واحدة في سورة (فصلت:49)، [انظر: مادة (قنط) عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، (ص:553)].

[4] سورة الزمر، آية 53 .

[5] الآلوسي، **روح المعاني**، (13/24).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما القنوط في اللغة: فقد التقت المعاجم اللغوية على أنه يأتي بمعنى: اليأس[1]، وقد " قَنِطَ يَقْنَطُ قَنَطاً مثل تعِب يَتْعَب تعباً وقَناطة فهو قَنِطٌ، ...وأَما قَنَط يقْنَطُ بالفتح فيهما، وقَنِطَ يَقْنِط بالكسر فيهما فإنما هو على الجمع بين اللغتين"[2].

ولكن ثَمَّ فرق بين اليأس والقنوط، وبالأخص إذا اجتمعا في جملة واحدة، وهو: أن القنوط أشد مبالغة من اليأس[3]؛ "فاليأس: عدم تأمل وقوع شيء من أنواع الرحمة، والقنوط: هو ذاك مع انضمام حالة هي أشد منه في التصميم على عدم الوقوع"[4]، بالإضافة إلى أن القنوط يتجاوز إحساس اليأس إلى ظاهر البدن بالتضاؤل والانكسار[5]. وذهب ابن الجوزي إلى أن القنوط ثمرة اليأس[6]، وترى الباحثة أنه لا يوجد تعارض بين ما ذهب إليه ابن الجوزي وبين ما سبقه من الأقوال؛ فكَوْنُ القنوط ثمرة اليأس لا ينافي كونه أشد مبالغة منه؛ فثمرة الشيء تكون بالعادة أشد قوةً وتركيزاً وفعاليةً من الأصل؛ ولذلك فلا عَجَبَ أن يكونَ القنوطُ الذي هو ثمرةُ اليأس، أشد مبالغةً، وأشد تأثيراً على النفس من مجرد الإحساس باليأس.

ومن الجدير ذكره هنا: أن القنوط يكاد يكون الأقرب إلى معنى اليأس من بقية الألفاظ في القرآن الكريم نحو: الخيبة، والإبلاس، والسأم، وغيرها؛ حتى إننا نلحظ تشابه الآيات التي فيها حديث عن اليأس مع الآيات التي فيها حديث عن القنوط، وما يترتب على ذلك من تشابه في الحُكْمِ والعلاج، فقد قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[7]، وقال

---

[1] انظر: الفراهيدي، أبا عبد الرحمن، الخليل بن أحمد (ت:175هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي، و د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (105/5). الرازي، **مختار الصحاح** (ص:230)، ابن منظور، **لسان العرب** (386/7)، الزبيدي، **تاج العروس** (57/20).

[2] ابن منظور، **لسان العرب** (386/7) بتصرف.

[3] انظر: أبا هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت:395هـ)، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة - القاهرة، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (ص:245).

[4] الآلوسي، **روح المعاني** (45/13).

[5] انظر: النسفي، **مدارك التنزيل** (94/4).

[6] انظر: ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر**، (ص:633).

[7] سورة الزمر، آية 53 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى في سورة يوسف على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ ﴾[1] فالله سبحانه وتعالى يُحَذِّرُ في الآيتين من أمر واحد؛ وهو: اليأس والقنوط من رحمة الله ومغفرته، وقال تعالى في موضع آخر على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[2]، وفي آية أخرى قال عَزَّ من قائل على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[3]، ففي الآيتين تشابه في الحكم على كل من اليائس والقانط؛ فهما إما كافر أو ضال، وقد نلحظ هذا التشابه أيضاً في قوله تعالى في سورة الإسراء:﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾[4]، وفي قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[5]؛ فقد ورد في الآيتين المذكورتين وصف للإنسان في حالة الضرَّاء باليأس والقنوط، وقد عبَّر القرآن الكريم عن الضرَّاء في الآية الأولى بعبارة: "وإذا مسه الشر"، وفي الآية الثانية عبَّر عنه بعبارة: "وإن تصبهم سيئة"، والعبارتان تؤديان المعنى نفسه، بالإضافة إلى أنه قد اجتمع للإنسان وصف باليأس والقنوط في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿لا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾[6]، وهي تحمل أيضاً معنى الآيتين السابقتين.

---

[1] سورة يوسف، آية 87.

[2] سورة الحجر، آية 56.

[3] سورة يوسف، آية 87.

[4] سورة الإسراء، آية 83.

[5] سورة الروم، آية 36.

[6] سورة فصلت، آية 49.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الإبلاس

ورد ذكر (الإبلاس) في القرآن الكريم ست عشرة مرة، وذلك في ثلاث عشرة سورة[1]، كلها مكية باستثناء سورة البقرة. منها قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾[2]، ومبلسون تعني: "آيسون من الخير، نادمون حزناً"[3]، "و(إبليس) مشتق من الإبلاس، قال الأزهري في تهذيب اللغة: "وقيل: إنَّ إبليسَ سُمّيَ بهذا الاسم؛ لأنّه لمّا أَوِيسَ مِن رَحمة الله أَبلَسَ إبلاساً"[4].

وأما الإبلاس في اللغة؛ فهو يأتي بمعنى اليأس، والقنوط، وقطع الرجاء، وبمعنى الانكسار والحزن، يقال: أبلس فلان: إذا سكت غمَّاً وحزناً[5].

وعرَّفه الراغب الأصفهاني قائلاً: "الإبلاس: الحزن المعترض من شدة البأس ....، ولما كان المبلس كثيراً ما يلزم السكوت وينسى ما يعنيه قيل: أبلس فلان: إذا سكت وانقطعت حجته"[6]، وعند الذهبي: الإبلاس: "اليأس من النجاة عند ورود الهلكة"[7].

من هنا تظهر علاقة الإبلاس باليأس؛ فالحزن والغم والانكسار والسكوت والوجوم كلها صفات يجمعها كل من اليائس والمبلِس بين جنبيه.

---

[1] وردت مادة (الإبلاس) في القرآن الكريم على النحو الآتي: (مبلسون) (3) مرات في السور الآتية (الأنعام :44)، (المؤمنون :77)، (الزخرف :75)، وورد لفظ (لمبلسين) مرة واحدة في سورة (الروم :49)، وورد لفظ (يبلس) مرة واحدة في سورة (الروم :12)، وورد لفظ (إبليس) (11) مرة في السور الآتية: (البقرة: 34)، (الأعراف: 11)، (الحجر: 32،31)، (الإسراء: 61)، (الكهف: 50)، (طه: 116)، (الشعراء: 95)، (سبأ: 20)، (ص: 74،75)، [انظر: مادة (بلس) عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس** (ص:134)].

[2] سورة الأنعام، آية 44 .

[3] الطبري، **جامع البيان** (227/1).

[4] الأزهري، **تهذيب اللغة** (306/12).

[5] انظر: الرازي، **مختار الصحاح** (ص:26). ابن منظور، **لسان العرب** (30/6)، الزبيدي، **تاج العروس** (464/15).

[6] الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن** (ص:60) بتصرف.

[7] الذهبي، أبو عبد الله محمد شمس الدين ،(ت:748هـ)، **الكبائر**، مطبعة الأنوار المحمدية – القاهرة ، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (ص:250).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: الخيبة

وردت مادة (الخيبة) في القرآن الكريم خمس مرات، وذلك في أربع سور من سور القرآن الكريم[1]، كلها مكية باستثناء سورة آل عمران. قال تعالى:﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴾ [2]، ومعنى (خاب) هنا: "يئس من رحمة الله"[3]، وفسَّر أبو سليمان الدمشقي[4] قوله تعالى: ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾[5] بأنه يئس من الإجابة[6]، وأما معنى خائبين في قوله تعالى: ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾[7]، أي: "منقطعي الآمال"[8].

وجاءت الخيبة في السنة النبوية بمعنى الحرمان، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: "كان أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إذا كان الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الْإِفْطَارُ فَنَامَ قبل أَنْ يُفْطِرَ لم يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ ولا يَوْمَهُ حتى يُمْسِيَ، وَإِنَّ قَيْسَ بن صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيَّ[9] كان صَائِمًا، فلما

---

[1] وردت مادة (الخيبة) في القرآن الكريم على النحو الآتي: (خاب) (4) مرات في السور الآتية: (إبراهيم :15) ، (طه : 61،111)، (الشمس: 10)، وورد لفظ (خائبين) مرة واحدة في سورة (آل عمران :127)، [انظر: مادة (خاب) عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس** (ص:249)].

[2] سورة طه، آية 111.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل**، (68/3).

[4] هو أبو سليمان السعدي المفسر، صنف كتباً في التفسير، منها كتاب مجتبى التفسير، وكان شافعياً أشعرياً، كثير الاتباع للسنة، حسن التكلم في التفسير،عاش في القرن الرابع، [انظر: الأدنروي، أحمد بن محمد، **طبقات المفسرين**، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، (ط1/1417هـ/1997م) (ص:95 -96)].

[5] سورة إبراهيم، آية 15.

[6] انظر: ابن الجوزي، أبا الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي – بيروت (ط3/1404هـ) (351/4).

[7] سورة آل عمران، آية 127.

[8] الآلوسي، **روح المعاني** (49/4)، البيضاوي، **أنوار التنزيل** (90/2).

[9] قال ابن حجر: "قيل فيه صرمة بن قيس، وصرمة بن مالك، وصرمة بن أنس، وقيل فيه قيس بن صرمة، وأبو قيس بن صرمة، وأبو قيس بن عمرو. فيمكن أن يقال: إن كان اسمه صرمة بن قيس، فمن قال فيه قيس بن صرمة قلبه، وإنما اسمه صرمة، وكنيته أبو قيس، أو العكس" [ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة** (424/3)]، وقيس بن صرمة هو ابن مالك بن عدي بن عمرو بن النجار الأنصاري، وهو الذي أنزل الله فيه وفي عمر: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿وَعَفَا عَنكُمۡۖ ﴾(البقرة :187). [انظر: السهيلي، **الروض الأنف** (389/2)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حَضَرَ الْإِفْطَارُ أتى امْرَأَتَهُ فقال لها: أَعِنْدَكِ طَعَامٌ؟ قالت: لَا، وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لك، وكان يَوْمَهُ يَعْمَلُ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ، فلما رَأَتْهُ قالت: خَيْبَةً لك، فلما انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عليه، فَذُكِرَ ذلك لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَزَلَتْ هذه الْآيَةُ: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾[1]، فَفَرِحُوا بها فَرَحًا شَدِيدًا، ونزلت: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾[2][3]، و"خيبة لك" تعني: حرماناً[4].

أما بالنسبة لمعنى الخيبة في اللغة، فإنه يدور حول المعاني الآتية[5]:

1 - حِرْمان الحظ.

2 - الفقر والجوع.

3 - الكفر والخسران.

أما في الاصطلاح، فإن الخيبة تعني: "فوت الطلب"[6] و"انقطاع الأمل"[7]، وترى الباحثة أن هناك ارتباطاً بين المعنى اللغوي للخيبة والمعنى الاصطلاحي لها؛ وذلك لأن الكفر والخسران والفقر والجوع والحرمان إنما يَنُمُّ عن انقطاع في الأمل وخسران في الأماني.

كما أن هناك علاقة وثيقة بين الخيبة واليأس؛ فكلا اللفظين يحملان بين حروفهما انقطاع الأمل والرجاء، ولكن الخيبة تفترق عن اليأس في كونها لا تكون إلا بعد الأمل؛ فهي امتناع نيل

---

[1] سورة البقرة، آية 187 .

[2] سورة البقرة، آية 187 .

[3] البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل (ت:256هـ)، **صحيح البخاري**، الموسوم بـ(الجامع الصحيح المختصر)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – بيروت، (ط3/1407هـ/1987م)، كتاب الصوم، باب: قول الله جل ذكره: ﴿ ! " # $ % &) ﴾ (البقرة: 187)، رقم (1816) (676/2).

[4] انظر: ابن حجر، أبا الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت :852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (131/4).

[5] انظر: الأزهري، **تهذيب اللغة**، (245/7).

[6] الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن** (ص:160).

[7] الآلوسي، **روح المعاني** (49/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما أَمِل، أما اليأس فقد يكون قبل الأمل، بالإضافة إلى أن اليأس نقيضه الرجاء، بينما الخيبة نقيضها الظَفَر[1].

المطلب الرابع: السأم

ورد ذكر (السأم) في القرآن الكريم ثلاث مرات، وذلك في سورتين[2]، واحدة مكية والأخرى مدنية، منها قوله تعالى في سورة فصلت المكية: ﴿لا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[3] ، أي: لا يَمَلُّ الكافرُ من طلب الخير وهو: المال والصحة[4].

أما في اللغة جاء السأم بمعنى الملل والضجر[5]، وبمعنى الموت[6]، "وقيل: عروق الذهب والفضة"[7].

أما معنى السأم في الاصطلاح فإنه لا يختلف عن معناه في اللغة؛ فهو: "الملالة مما يكثر لبثه فعلاً كان أو انفعالاً .... ، قال الشاعر[8]:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم"[9] [بحر الطويل]

---

[1] انظر: العسكري، **الفروق اللغوية** (ص:245).

[2] وردت مادة (السأم) في القرآن الكريم على النحو الآتي: (تسأموا) مرة واحدة في سورة (البقرة: 282)، وورد لفظ (يسأم) مرة واحدة في (سورة فصلت: 49)، وورد لفظ (يسأمون) مرة واحدة في (سورة فصلت :38)، [انظر: مادة (سأم) عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس** (ص:338)].

[3] سورة فصلت، آية 49 .

[4] انظر: الطبري، **جامع البيان** (2/25).

[5] انظر: ابن منظور، **لسان العرب** (280/12).

[6] انظر: الرازي، **مختار الصحاح** (ص:135).

[7] ابن سيده، **المحكم** (626/8).

[8] هذا البيت من شعر زهير بن أبي سلمى، [انظر: ابن أبي سلمى، زهير، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، شرح: الأعلم الشنتمري، المكتبة التجارية - مصر (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (ص:12)].

[9] الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن** (ص:251).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الملاحظ وجود علاقة بين السأم واليأس، وهذه العلاقة توضحها الآية الكريمة التي اجتمع فيها ذكر السأم واليأس، وهي قولـــه تعـــالى: ﴿لا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[1] ؛ حيث إن الله سبحانه وتعالى وصف الإنسان الكافر فـــي حالـــة طلبه الخير والنعمة وفي حالة أصابه الشر والنِّقْمة، فهو في حالة الشر يصـــيبه اليـــأس والملـــل والإحباط، أما في حالة الخير فإنه لا يسأم ولا ييأس من طلبه والسعي للحصول عليه، فهنا يظهر تقارب المعنى بين اليأس والسأم من خلال المقابلة بين حالتي السراء والضراء بالنسبة للإنســـان الكافر؛ فهو في الأولى لا يمل ولا يَفْتُر وفي الثانية ييأس ويقنط.

المطلب الخامس: الهَلَع

ذُكِرَ الهلع في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة المعارج، وهي مكية[2] في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[3]، "قال ابنُ جريج[4] في تفسير هذه الآية: يا ابنَ آدم إذا نزلت بك نعمةٌ من الله فأنت كفورٌ، وإذا نُزعت منك فيؤوسٌ قنوط"[5]، يعني أن هذه الآية فُسِّرت بما بعدها وهي قوله تعالى ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾[6]،[7].

---

[1] سورة فصلت، آية 49.

[2] انظر: مادة (هلع) عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس** (ص:737).

[3] سورة المعارج، آية 19.

[4] "هو أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي بالولاء المكي (ت:149هـ)، مولى أمية بن خالد بن أسيد أحد العلماء المشهورين، ويقال: إن جريجاً كان عبداً لأم حبيب بنت جبير زوجة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بـــن أبي العيص بن أمية فنسب ولاؤه إليه، ويقال إنه أول من صنف الكتب في الإسلام". [ابن خلكان، **وفيات الأعيان** (163/3 - 164)].

[5] الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، المعروف بابن الخطيب الشافعي، (ت:606هـ)، **التفسير الكبير** الموســـوم بـــ**(مفاتيح الغيب)**، دار الكتب العلمية – بيروت ، (ط1/1421هـ/2000م)، (152/17)، ابن عادل، أبو حفص، عمر بن علي الدمشقي، (ت: بعد 880هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمـــد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت ، (ط1/1419هـ/ 1998م)، (444/10).

[6] سورة المعارج، الآيتان (20،21).

[7] انظر: ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت:774هـ)، **تفسير القرآن العظـــيم**، دار الفكـــر - بيـــروت، (طبعة سنة 1401هـ)، (422/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي صحيح البخاري باب بعنوان "قولـــه تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾هلوعا: ضجورا"[1].

أما الهلع في اللغة: "قيل: هو أسوأ الجزع"[2]، "والهَلُوع: مَن يجزع ويفزع مـــن الشـــر، ويحرص ويَشِحُّ على المال، أو الضجور لا يصبر على المصائب"[3]، ويأتي الهلع أيضاً بمعنـــى: الحزن[4]، وبمعنى: الحِرْص[5].

من خلال ما سبق ترى الباحثة: أن الهلع يدخل تحت نطاق اليأس؛ وذلك لأن من معاني الهلع: الجزع والحزن والضجر الذي يعني: "القلق من الغم"[6]، وهذه المعاني يحملها اليأس.

وفي نهاية هذا المبحث، فإنه من الملاحظ أن هناك ارتباطاً بين مفهوم اليأس ونظائره في القرآن الكريم؛ فاليأس يتضمن جميع معاني القنوط والإبلاس والخيبة والسأم والهلع، مع ظهـــور علامات الانكسار والضجر والحزن وفقدان الأمل عند اليائس.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد (2740/6).

[2] ابن سيده، **المحكم** (124/1).

[3] الفيروزآبادي، **القاموس المحيط** (ص :1002).

[4] انظر: ابن سيده، **المحكم** (124/1). الرازي، **مختار الصحاح** (ص :290).

[5] انظر: الفراهيدي، **كتاب العين** (107/1). ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة** (62/6).

[6] ابن منظور، **لسان العرب** (375/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

صور اليأس

وموقف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منه

المبحث الأول: صور اليأس

المبحث الثاني: موقف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من اليأس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

صور اليأس

المطلب الأول: اليأس من رحمة الله

إن رحمة الله واسعة جداً، لا تَحُدُّها حدود، ولا تتخيلها عقول، يطمع فيها المؤمن والكفور، تتنزل على خلقه فإذا بها تضيء النفوس، وتجلو الهموم، وتُؤَمِّل القلب المحزون؛ ففي الحديث: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يوم خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً وَأَرْسَلَ في خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الذي عِنْدَ اللَّهِ من الرَّحْمَةِ لم ييأس من الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الذي عِنْدَ اللَّهِ من الْعَذَابِ لم يَأْمَنْ من النَّارِ"[1]؛ لذا كان اليأس منها أمراً خطيراً، وخلقاً ذميماً، ومعصيةً كبيرةً؛ فهو يُعَدُّ من الكبائر، بل من أكبر الكبائر، ففي الأثر عن ابن مسعود أنه قال: "أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله"[2]، حتى إنه قد ينقل صاحبه عن الملة، كما قال الطحاوي[3].

فاليأس من رحمة الله تعالى يعدُّ سوء ظن بالله عز وجل، وطعناً في رحمته سبحانه؛ لأن من علم أن الله رحيم لا يستبعد أن يرحمه الله سبحانه؛ ولهذا كان القانط من رحمة الله ضالاً[4].

وقد نهانا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن اليأس من رحمته ومغفرته، قال جلَّ في علاه حكاية عن سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[5]، والرَّوْحُ: ما يجده الإنسان من نسيم الهواء فيسكن إليه،

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم(6104) (2374/5).

[2] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (360هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مكتبة الزهراء – الموصل ، (ط1404/2هـ/1983م)، رقم (8784) (156/9).

[3] انظر: الطحاوي، أبا جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة، (ت:321هـ)، **العقيدة الطحاوية**، دار ابن حزم – بيروت، (ط1416/1هـ/1995م) (ص:21).

[4] انظر: العثيمين، محمد بن صالح (ت:1421هـ)، **القول المفيد على كتاب التوحيد**، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الجديدة، (طبعة سنة 1423هـ) (6/2).

[5] سورة يوسف، آية 87 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتركيب الراء، والواو، والحاء يفيد الحركة والاهتزاز، فكل ما يهتز إنسان له ويلتذ بوجوده فهو روح، قاله الأصمعي[1].

و(رَوْحُ الله) الواردة في الآية الكريمة تعني: رحمته، وفرجه، وتنفيسه[2].

واليأس من رحمة الله نوعان: يأس الكفار منها، وتركهم كل سبب يقربهم منها، ويأس العصاة بسبب كثرة جناياتهم التي أوحشتهم وملكت قلوبهم، فأحدثت لها الإياس[3].

ولقد اطَّلع الله سبحانه وتعالى على سرائر بعض المؤمنين الذين أسرفوا على أنفسهم في لحظة بشرية طاغية، وقادهم عِظَمُ شعورهم بالذنب إلى الخوف المُقعِد الذي قد يصل إلى القنوط في لحظة الرهبة القاتلة، فكان هذا النداء المليء بالأمل والرجاء: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾[4].

فدعاهم الحقُّ سبحانه وتعالى إلى عدم اليأس والقنوط، ماداموا مؤمنين، ومادامت رحمة الله واسعة، حتى لو بالغوا في الذنوب والمعاصي؛ وذلك لأن "القلب الندي بالإيمان، المتصل بالرحمن، لا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد، وادلهمت حوله الخطوب، وغاب الأمل في ظلال الحاضر؛... فإن رحمة الله قريب من المؤمنين المهتدين"[5]، أما الكفار – والعياذ بالله - فقد يئسوا من رحمة الله في الدنيا، ويئسوا من مغفرته وجنته في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[6]،

---

[1] انظر: ابن الجوزي، **زاد المسير**، (276/4).

[2] انظر: أبا حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت:745هـ)، **البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1/1422هـ/2001م)، (334/5).

[3] انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت:1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة – بيروت (طبعة سنة 1421هـ/2000م) (ص:629).

[4] سورة الزمر، آية 53 .

[5] قطب، سيد (ت:1386هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق - القاهرة (طبعة سنة 1401هـ/1981م) (2148/4)، بتصرف.

[6] سورة العنكبوت، آية 23 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومعنى الرحمة هنا: الجَنَّة[1]، وذكر أبو حيان في تفسيره أن هناك قولاً آخرَ في معنى الرحمة في هذه الآية، وهو: الدين، فيكون المعنى: أن الكفار يئسوا من ديني، فلا أهديهم[2].

وبعد، فإن هذا هو النوع الأول من أنواع اليأس، والذي يدور حوله مدار هـذا البحـث، وإذا أُطْلِقَ لفظُ اليأس في ثنايا هذه المادة فالمقصود به هو هذا النوع، وهو ما يطلق عليه: اليأس المذموم، وهناك بالمقابل يأس محمود، لم يُذكر في القرآن الكريم بصورة مباشرة، لكنه موجـود في ثنايا كتب الأخلاق والزهد؛ وهو اليأس مما في أيدي الناس، وقطع الرجاء بهم.

ويرى المناوي أن الغنى الحقيقي يكمن في هذا النوع من اليأس، يقـول: "الغنـى هـو الإياس: أي القنوط مما في أيدي الناس، أي ليس الغنى الحقيقي هو كثرة العرض والمال؛ بل هو غنى النفس وقنعها بما قسم لها، وقطع الآمال من الأموال التي بأيدي الناس، والإعراض عنهـا بالقلب، فيستغني بما حصل له لعلمه بأنه لم يتغير ...، والمعنى: أنه إذا يئس مما في أيدي الناس استغنى قلبه بالحق، وسكنت نفسه إلى ضمانه، وصار حرّاً عن التذلل لغيـره، ويحصـل ذلـك بصفاء توحيد قلبه؛ بأن الخلق من ذروة العرش إلى منتهى تخوم العرش، لا يستقلون بنفـع ولا ضر إلا بإذنه تعالى"[3].

لذا فـ"الواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة بكماله ...، إذ الطمع فيما لا يشك في وجوده فقر حاضر، فكيف بما أنت شاك في وجوده أو عدمه"[4].

---

[1] انظر: البغوي، أبا محمد، الحسين بن مسعود الفراء، (ت: 516هـ)، **معالم التنزيل**، تحقيق: خالد عبد الـرحمن العـك، دار المعرفة – بيروت، (464/3).

[2] انظر: أبا حيان، **البحر المحيط**، (143/7).

[3] المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت:1031هـ)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبـرى – مصـر، (ط1356/1هـ) (414/4)، بتصرف.

[4] ابن حبان البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد (ت:354هـ)، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت –طبعة سنة (1397 / 1977) (ص:141)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أحسن صفي الدين[1] حين قال:

لا ترجُ غير الله سبحانه واقطع عرى الآمال من خلقه

لا تطلبن الفضل من غيره واضنن بماء الوجه واستبقه[2] [بحر الكامل]

المطلب الثاني: اليأس من إنزال الغيث

الغيثُ صورةٌ من صور الرحمة الإلهية، ومعنى من معانيها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[3]، وقال عزَّ من قائل: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡىِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ﴾[4،5]؛ فرحمة الله في هذه الآية هي: الغيث، وأثرها: النبات[6]، "فالغيث سببُ رزقٍ عظيم وهو ما ينزله الله بقدر هوَ أعلم به، وفيه تذكير بهذه النعمة العظيمة على الناس، التي منها معظم رزقهم الحقيقي لهم ولأنعامهم، وخصَّها بالذكر دون

---

[1] هو: صفي الدين عبد المؤمن بن الخطيب البغدادي الحنبلي،(ت:739هـ) الإمام المتقن، مَهَرَ في علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهندسة والمساحة ونحو ذلك، شرح المحرر في الفقه ست مجلدات، وشرح العمدة مجلدان، و إدراك الغاية في اختصار الهداية، مجلد لطيف، وشرحه في أربع مجلدات، وغيرها. [انظر: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري، **(ت:1089هـ)**، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، و محمود الأرناؤوط، دار بن كثير - دمشق، (ط1/1406هـ) (121/6)].

[2] هذا البيت من قول صفي الدين نفسه، انظر: ابن رجب الحنبلي، أبا الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت:795هـ)، **الذيل على طبقات الحنابلة**، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، (ط1/ 1425هـ/2005م) (83/5).

[3] سورة الفرقان، آية 48 .

[4] سورة الروم، آية 50 .

[5] انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (ت:1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر – بيروت، طبعة سنة (1415هـ/1995م) (62/6).

[6] انظر: الزمخشري، أبا القاسم محمود بن عمر، (ت538هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (492/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غيرها من النعم الدنيوية؛ لأنها نعمة لا يختلف الناس فيها؛ فهي أصل دوام الحياة بإيجاد الغذاء الصالح للناس والدواب"[1].

ومن أجل ذلك كله ينتظره الناس، وتتعلق به قلوبهم، ولا يكاد يتأخر عن موسمه قليلاً حتى يقتحم القنوطُ قلوبَ العباد؛ لما يتعلق به من زخرف الحياة وزينتها ومتاعها وضروريات البقاء فيها، قال أعرابي يصف نزول الغيث بعد القنوط: "بينا الحاضر بين الناس والإبلاس، قد غمرهم الإشفاق، ورهبة الإملاق، وقد حقبت الأنواء، ورفرف البلاء، واستولى القنوط على القلوب، وكثر من الذنوب، ارتاح ربك لعباده فأنشأ سحاباً مسجهراً كنهوراً معنونكاً محلولكاً، ثم استقل واحزألّ فصار كالسماء دون السماء، وكالأرض المدحوَّة وفوق لوح الهواء، فأحسب السهول، وأتأق الهجول، فأحيا الرجاء، وأمات الضراء، وذلك قضاء رب العالمين"[2].

ولو علم الناس أن الله أرحم بعباده من أنفسهم ما قنطوا، ولو علم الناس أن لكل أجل كتاباً ما قنطوا، ولو علم الناس أنه لن تموت نفس حتى تستكمل وتستوفي رزقها ما قنطوا؛ ولذلك صوَّر الله سبحانه هذه المسألة أدقَّ تصوير، صوَّر نفسيَّة الناس، وصوَّر معنى نزول الرحمة وانتشارها، قال عزَّ من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[3]، وما أروعها من مقابلة، شملت نشر الرحمة في لحظة القنوط؛ ليصح الحمد لولي النعمة الذي بيده مفاتيح الرزق، وله الأمر كله.

والرحمة في هذه الآية تعني: المطر[4]، أو بركات المطر ومنافعه، وما يحصل به من الخصب، ويجوز أن يراد بها: رحمة الله الواسعة في كل شيء، كأنه قيل: ينزل الرحمة التي هي

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (95/25)، بتصرف.

[2] ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي، (ت:321هـ)، **المطر والسحاب**، (بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر)، (ص: 4)، ومعنى الإشفاق: الخوف، والإملاق: الفقر، وقوله: حقبت الأنواء: أي احتبست الأمطار، والكنهور من السحب: المتراكب الثخين، والمعنونك: المرتفع ،والمحلولك: الشديد السواد، واستقل واحزألّ: يعني ارتفع، والمدحوة: المنبسطة، واللوح: الهواء بين السماء والأرض، وأحسب السهول: كفاها من المطر، وأتأق الهجول: ملأ ما بين الجبال، [انظر: المرجع السابق (ص: 5)].

[3] سورة الشورى، آية 28.

[4] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (31/25). البغوي، **معالم التنزيل**، (128/4)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغيث، وينشر سائر أنواع الرحمة[1]، وسمي المطر بالغيث؛ لأنه يغيث الناس، أي: يجيرهم ويصلح حالهم[2]، والغيث ما كان نافعاً في وقته، والمطر قد يكون ضاراً ونافعاً في وقته وغير وقته[3].

وقد صوَّر الله سبحانه وتعالى حال الناس عند انحباس المطر، وعند نزوله في موضع آخر، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[4]،

"وقد ذمَّهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم القَطْرُ قنطوا من رحمته، وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين، فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر، استبشروا وابتهجوا، فإذا أرسل ريحاً فضرب زروعهم بالصفار، ضجُّوا وكفروا بنعمة الله، فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة، كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا، وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار، وأن يصبروا على بلائه فكفروا"[5].

لذلك يجب على الإنسان المسلم أن يحسن الظن بالله عز وجل، وأن يعلم أن الرزق بيده سبحانه يبسطه لمن يشاء، ويقْدُرْه عمن يشاء، وذلك كله عن حكمة وعدل، ولا ييأس ولا يقنط ويتوقع فرج الله ورحمته في كل لحظة، يقول القشيري: "فبعدما أصاب الأرضَ جدوبةٌ، وأبطأ نزولُ الغيثِ، وقَنِطَ الناسُ من مجيء المطر، وأشرفَ الوقتُ على حدِّ الفَوات، يُنَزِّلُ اللَّهُ بفضله الغيثَ، ويحيي الأَرضَ بعد قنوطِ أهلها.. فكذلك العبد؛ إذا ذَبُلَ غُصْنُ وقته، وتكَدَّرَ صَفْوُ ودِّه،

---

[1] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (147/27).

[2] انظر: الثعالبي، أبا زيد،عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت:875هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت (بدون طبعة ولا سنة نشر) (318/8).

[3] انظر: الماوردي، أبا الحسن،علي بن محمد بن حبيب البصري، (ت:450هـ)، تفسير الماوردي المسوم بـ **(النكت والعيون)**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (203/5).

[4] سورة الروم، الآيتان (48،49).

[5] الزمخشري، **الكشاف** (492/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكسفت شمسُ أُنْسِه، وبَعُدَ عن الحضرةِ وساحاتِ القرب عَهْدُه فلربما ينظر إليه الحقُّ برحمتــه؛ فينزل على سِرِّه أمطارَ الرحمة، ويعود عودُه طريّاً، ويُنْبِتُ في مشاهدة أُنْسِه ورداً جَنِيّاً"[1].

المطلب الثالث: يأس الكفار من الآخرة

الدنيا مزرعة الآخرة، والحياة ممرٌّ لما بعد الموت، وربُّ الدنيا هو ربُّ الآخرة.

والذين ييأسون من رحمة الله في أمور الحياة والبقاء والرزق؛ بسبب بُعدهم عن الله عز وجل، أولى بهم أن يُتْبِعوا ذلك اليأس يأساً آخر، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً، والأمر يومئذٍ لله.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾[2]، ففي هذه الآية نهيٌ عــن مــوالاة مــن غضب الله عليهم، وهم اليهود والنصارى وسائر الكفار، الذين استحقوا من الله الطرد والإبعــاد، ويئسوا من ثواب الآخرة ونعيمها[3].

وقد أورد الطبري رأيين في تأويل قوله تعــالى: ﴿قَد يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾[4]:

"الرأي الأول: أن معنى ذلك: قد يئس هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثــواب الله في الآخرة وأن يُبعثوا، كما يئس الكفار الأحياء من أمواتهم، الذين هم في القبور، أن يرجعوا إليهم .

---

[1] القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت:514هـ)، تفسير القشيري، الموسوم بـ **(لطائف الإشارات)**، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1/1420هـ-2000م) (3/166 - 167).

[2] سورة الممتحنة، آية 13 .

[3] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (4/357).

[4] الطبري، **جامع البيان** (28/81 -82).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والرأي الثاني: أن معنى ذلك: قد يئسوا من الآخرة أن يرحمهم الله فيها، ويَغْفِر لهم، كما يئس الكفار الذين هم أصحاب قبور قد ماتوا وصاروا إلى القبور، من رحمة الله وعفوه عنهم في الآخرة؛ لأنهم قد أيقنوا بعذاب الله لهم".

وبعد ما ذكر هذين القولين، رجح الطبري القول الثاني قائلاً: "وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة وكرامته؛ لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم على علم منهم بأنه لله نبي، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا فصاروا أصحاب القبور، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه، من تكذيبهم عيسى صلوات الله عليه، وغيره من الرسل من ثواب الله وكرامته إياهم، وإنما قلنا ذلك أولى القولين بتأويل الآية؛ لأن الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا، أو أن يبعثوا قبل قيام الساعة؛ المؤمنون والكفار، فلا وجه لأن يخص بذلك الخبر عن الكفار، وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون"[1].

هذا هو حال اليهود - كما تصوره الآية الكريمة – قد قطعوا ما بينهم وبين الله، ويوشك ما بينهم وبين الناس أن ينقطع، كان هؤلاء يملكون من أسباب التوبة والرجوع إلى الله في حياتهم الدنيا، ولكنَّ كِبْرَهم وعدم رؤيتهم إلا من ثُقْبِ أنفسهم الموبوءة، قادهم إلى مقولات تُغلقُ دونهم كل أبواب الرحمة والمغفرة؛ فهم الذين قالوا:﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ ﴾[2]، فوصفوا الله بما لا يليق ببعض خلقه، وهم الذين قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[3]، فجعلوا المصائر في اليوم الآخر لهم وحدهم، وادَّعوا ذلك الحق، ومع ذلك كله يقولون:﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾[4] ، فادَّعوا أقرب الصلات، مع أنهم اتصفوا بأبشع الصفات، فحيل بينهم وبين ما يشتهون.

---

[1] الطبري، **جامع البيان** (83/28).

[2] سورة المائدة، آية 64.

[3] سورة البقرة، آية 111.

[4] سورة المائدة، آية 18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولما عاينوا المصير الآخر، سواء كان ذلك في أول منازل الآخرة في قبورهم، أو في عرصات القيامة، رجعوا إلى أنفسهم المنكودة، فلم يجدوا في سجلات أعمالهم وصحائفهم المكتوبة غير الكبر الذي قدَّموه، والمعصية التي أسلفوها، ومحادَّة الله ورسوله، فهل يمكن لهؤلاء إلا أن يصطدموا بصخرة اليأس والقنوط فتثلغ تلك الرؤوس الضالة ؟!!

والقارئ في القرآن الكريم يجد كثيراً من الآيات التي تصف حال الكفار والفسقة والمجرمين عند معاينتهم العذاب يوم القيامة، وتصور نفسياتهم اليائسة وقلوبهم المنحرقة أسفاً وندماً، قال تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾[1].

يقول الشيخ المراغي: "وهذا أسلوب يستعمل في التخاطب حين اليأس، قالوه تحيّرا أو تعللا؛ عسى أن يتاح لهم الفرج، ونحو هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾[3]" [4].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾[5]، يتبرأ المتبوعون من الأتباع، "وبيَّن تعالى ما لأجله يتبرؤون منهم، وهو عجزهم عن تخليصهم من العذاب الذي رأوه؛ لأن قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ يدخل في معناه أنهم لم يجدوا إلى تخليص أنفسهم وأتباعهم سبباً، والآيس من كل

---

[1] سورة غافر، آية 11.

[2] سورة السجدة، آية 12.

[3] سورة المؤمنون، آية 107.

[4] المراغي، أحمد مصطفى (ت:1364هـ)، **تفسير المراغي**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (51/24).

[5] سورة البقرة، آية 166.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجه يرجو به الخلاص مما نزل به وبأوليائه من البلاء، يوصف بأنه تقطعت به الأسباب"[1]، "وعند ذلك يتضاعف حزن الأتباع، وتشتد حسرتهم، ويقطِّع اليأسُ نياط قلوبهم؛ حين لم ينالوا منالاً من هؤلاء الذين غرَّروا بهم، وأوردوهم هذا المورد الوبيل، وإذ ذاك تنطلق ألسنتهم بكلمات تتميز غيظا ويأسا:﴿ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ﴾[2]، فهم إنما يُتَمْتِمون - في يأس مغلق - أن يردّوا هم ورؤساؤهم إلى هذه الدنيا؛ ليراجعوا حسابهم معهم، على ضوء ما تكشّف لهم في هذا الموقف؛ وليصموا آذانهم عن كل دعوة باطلة يدعونهم إليها"[3].

وعند قوله تعالى:﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴾[4]، يقول القشيري واصفاً حال المجرمين ساعة معاينتهم العذاب: "إذا صارت الأوهامُ منقطعة، والمعارفُ ضروريةً، والنارُ مُعَايَنَةً استيقنوا أنهم واقعون في النار، فلا يُسْمَعُ لهم عُذْرٌ، ولا تنفع لهم حيلةٌ، ولا تُقْبَلُ فيهم شفاعة، ولا يؤخذ منهم فداء ولا عدل ... لقد استَمْكَنَتْ الخيبةُ، وغَلَبَ اليأسُ، وحَصَلَ القنوط، وهذا هو العذاب الأكبر"[5].

أما المنافقون - والعياذ بالله - فقد قُطع رجاؤهم وطمعهم برحمة الله تعالى، قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴾[6]، وقد ذكر السبعين هنا للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم[7].

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب** (4/189 -190).

[2] سورة البقرة، آية 167.

[3] الخطيب، عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي - القاهرة، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)،(1/186).

[4] سورة الكهف، آية 53.

[5] القشيري، **لطائف الإشارات** (2/225).

[6] سورة التوبة، آية 80 .

[7] انظر: الخازن، علاء الدين علي بن محمد، (ت:741هـ)، **تفسير الخازن** الموسوم بـ**(لباب التأويل في معاني التنزيل)**، دار الفكر – بيروت، (طبعة سنة 1399هـ/1979م) (3/129).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والكلام وإن كان في حق اليهود والكفار والمنافقين إلا أن في الأمر متسعاً إذا طبقنا القاعدة التي تقول: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1]. وسواء أكان اليأس عند الكافرين من رحمة الله يوم القيامة، أم كان اليأس من أصحاب القبور من العودة للدنيا، فإن ما يقدِّمه العبد من محاربة لهواه، وتَقَرُّبٍ لمولاه، وتتبُّعٍ لهداه، كلها مؤهلات ترفع العبد إلى منزلة من يستحقون رحمة الله في لحظة الشدة والكرب.

المطلب الرابع: يأس الكفار من دين الله

في المطالب السابقة كان الحديث عن اليأس من إنزال الغيث، وعن يأس الكفار من رحمة الله، ويأسهم من الآخرة وقنوطهم مما عند الله، أما في هذا المطلب فسيكون الحديث عن يأس آخر، له مدلوله السلبي في تركيبة الكفار النفسية؛ بل هو مؤشر واضح على الهزيمة من الداخل، وهو في الوقت نفسه بشارة للمسلمين بوهن الكفار، وانقطاعهم عن رافدٍ عظيمٍ من روافد الثبات والقوة في صراعهم معهم، وهذا فيه إشارة واضحة على توجه المسلمين إلى خشية الله فحسب؛ حيث منه الحوْل والقوة والطَوْل، وضرورة وإلزامية عدم خشية الكافرين.

قال تعالى:﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[2]، وقد جاء في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أَنَّ رَجُلًا من الْيَهُودِ قال له: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ في كِتَابِكُمْ تقرؤونها لو عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذلك الْيَوْمَ عِيدًا قال: أَيُّ آيَةٍ قال:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[3]

---

[1] هذه قاعدة فقهية عليها جمهور العلماء. [انظر: السبكي، علي بن عبد الكافي، **الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق: جماعة من العلماء، (ط1/1404هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، (185/2). البخاري، علاء الدين عبد العزيز، **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي**، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية – بيروت، (طبعة سنة 1418هـ /1997م)، (390/2)].

[2] سورة المائدة، آية 3.

[3] سورة المائدة، آية 3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال عُمَرُ: قد عَرَفْنَا ذلك الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الذي نَزَلَتْ فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يوم جُمُعَةٍ"[1].

أما في معنى الآية فيقول الطبري: "الآن انقطع طمع الأحزاب، وأهل الكفر والجحود، أيها المؤمنون من دينكم ... أن تتركوه فترتدوا عنه راجعين إلى الشرك"[2].

وهذا ما يحصل الآن، ويمكن لمسه في حاضرنا اليوم، وعلى مستوى العالم أجمع، ومما يدل على ذلك كثرةُ الداخلين في الإسلام يومياً[3]، على الرغم من كل محاولات الكفار والمغرضين من صدهم وإشاعة الفتن بينهم.

يقول سيد قطب: "وأحسب - والله أعلم - أن اليهود الصهيونيين، والنصارى الصليبيين، كليهما، قد يئسوا من هذا الدين في هذه المنطقة الإسلامية الواسعة في إفريقية وآسيا وأوربا كذلك، يئسوا من أن يحولوا الناس فيها إلى الإلحاد - عن طريق المذاهب المادية - كما يئسوا كذلك من تحويلهم إلى ديانات أخرى عن طريق التبشير أو الاستعمار؛ ذلك أن الفطرة البشرية بذاتها تنفر من الإلحاد، وترفضه حتى بين الوثنيين - فضلاً على المسلمين - وأن الديانات الأخرى لا تجرؤ على اقتحام قلب عرف الإسلام، أو حتى ورث الإسلام!"[4].

لذلك ورد النهي عن خشيتهم؛ فإن يأس العدو من نيل عدوه يزيل بأسه، ويذهب حماسته، ويقعده عن طلب عدوه، فلما أخبر عن يأسهم طمأن المسلمين من يأس عدوهم، فقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾[5].

ولسائل أن يسأل: لماذا وقعت هذه الآية بعد ذكر الكثير من المنهيات والمحرمات ؟ وهل لذلك مناسبة أو دلالة؟ ولتتضح الإجابة عن هذا التساؤل، سيتم عرض سياق الآية الكريمة، قال

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، بَاب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم (45) (25/1).

[2] الطبري، **جامع البيان**، (78/6).

[3] انظر: http://www.almtoon.com/show.php?id=29

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (1032/2).

[5] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (101/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعـــالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

يقول صاحب نظم الدرر مجيباً عن هذا التساؤل: "ولما كانت هذه المنهيات معظم دين أهل الجاهلية، وكان سبحانه قد نهاهم قبلها عن إحلال شعائر الله، والشهر الحرام، وقاصدي المسجد الحرام بعد أن كان أباح لهم ذلك في بعض الأحوال والأوقات بقوله: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ....وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾[2]، ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾[3]، ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾[4]، علم أن الأمر بالكف عن انتهاز الفرص؛ إنما هو للأمن من الفوت، وذلك لا يكون إلا من تمام القدرة، وهو لا يكون إلا بعد كمال الدين وإظهاره على كل دين - كما حصل به الوعد الصادق - وكذا الانتهاء عن جميع هذه المحارم؛ إنما يكون لمن رسخ في الدين قدمه، وتمكنت فيه عزائمه وهممه، فلا التفات له إلى غيره ولا همه إلى سواه، ولا مطمع لمخالفه فيه، فعقب سبحانه النهي عن هذه المناهي كلها بقوله على سبيل النتيجة والتعليل: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ﴾[5][6]، "فهذه المحرمات هي التي تحقق بها أهل الكفر كمال المخالفة، فأيسوا معها من المواصلة والمؤالفة"[7].

---

[1] سورة المائدة، آية 3 .

[2] سورة البقرة، آية 191 .

[3] سورة البقرة، آية 194 .

[4] سورة البقرة، آية 191.

[5] سورة المائدة، آية 3.

[6] البقاعي، **نظم الدرر** (2/392،391).

[7] المرجع السابق (2/394).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجيب صاحب الظلال عن التساؤل نفسه، معللاً ورود هذه الآية في هذا الموقع؛ بأن الدين كلٌّ متكامل لا يتجزأ، وأن الدين الذي يئس منه الكفار لا فرق فيه بين ما يختص بالتصور والاعتقاد، وما يختص بالشعائر والعبادات، وما يختص بالحلال والحرام، وما يختص بالتنظيمات الاجتماعية والدولية، فكلها في مجموعها تكوِّن المنهج الرباني الذي ارتضاه الله للمؤمنين[1].

وبعد، فإنه قد أصبح واضحاً جلياً لدى الكفار أن الدين قد اكتمل، وأن النعمة قد تمَّت، وأن الله رضي للمسلمين هذا الدين؛ دستوراً وشرعةً ومنهاجاً وحُكْماً، وهذا يعني أن حلقة الوصل مع الله قد اكتملت، وأصبح حولُ المسلمين وقوتهم مستمداً من الله الذي بيده ملكوت كل شيء.

لقد أصبح مستقراً في أذهان أهل ملة الكفر أن النصر من عند الله، وأن عباده المؤمنين على خير حال مع ربهم؛ ولذلك فَقَدَ هؤلاء الكافرون أهم مرتكزات القوة النفسية التي تؤهلهم للصراع والغلبة، ومما زاد في ترسيخ هذه الفكرة في أذهانهم، وزاد في يأسهم، وخذلانهم، قول المولى عز وجل:﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾[2]، "ومعنى هذه الآية الكريمة: يا أيها المعادي للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، الساعي في إطفاء دينه، الذي يظن بجهله، أن سعيه سيفيده شيئا، اعلم أنك، مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول، فإن ذلك لا يذهب غيظك، ولا يشفي كمدك؛ فليس لك قدرة في ذلك، ولكن سنشير عليك برأي، تتمكن به من شفاء غيظك، ومن قطع النصر عن الرسول، إن كان ممكنا، ائت الأمر من بابه، وارتق إليه بأسبابه، اعمد إلى حبل من ليف أو غيره، ثم علقه في السماء، ثم اصعد به، حتى تصل إلى الأبواب التي ينزل منها النصر، فَسُدَّها، وأغلقها، واقطعها، فبهذه الحال تشفي غيظك، فهذا هو الرأي والمكيدة، وما سوى هذه الحال فلا يخطر ببالك أنك تشفي بها غيظك، ولو ساعدك من ساعدك من الخلق. وهذه الآية الكريمة فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه، ولرسوله،

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (841/2).

[2] سورة الحج، آية 15.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بـــأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون"[1].

ولقد فقد الشيطان - من قبل ذلك - الأمل في صد المسلمين عن دينهم، وإغـــرائهم مـــن أجل عبادته والانقياد إليه، ففي الحديث: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قد أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَـــلُّونَ فـــي جَزِيـــرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ"[2]، و"هذا الحديث من معجزات النبوة ... ومعناه: أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب، ولكنه سعى في التحريش بينهم؛ بالخصومات والشحناء والحـــروب والفـــتن ونحوها"[3].

ومن هنا فقد أصبح هذا المعنى مستقراً أيضاً في أذهان المسلمين، مما يـــؤهلهم للجـــرأة والجهاد والمراغمة، والثقة بوعد الله ونصره، وأن الغلبة لهم بإذن الله رب العالمين.

وهذا المعنى نفسه ينتقل بانتقال آيات القرآن عبر الأجيال المسلمة، فهو توجيه محكم لكل من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا، وما أحرانـــا أن نستوعب هذا الدرس ونتمثله فينا، في الوقت الذي تكالبت فيه الأمم علينا، ورمتنـــا عـــن قـــوس واحدة، فلا نزداد إلا جرأة عليهم بالقوة نفسها التي نزداد فيها خشية لله.

المطلب الخامس: اليأس من الإقناع

قد يصل الإنسان في بعض الأحيان إلى طريق مسدود في نقاشه مـــع الآخـــرين؛ عنـــد محاولته إيصال فكرة أو تحقيق هدف؛ وذلك عندما تعترض طريقه عوائـــق محبطـــة، أو آراء مخالفة، تحمل صاحب الفكرة على القعود، والتخلي عن رأيه، واليأس من إجابة الآخرين له.

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم المنان**، (ص:535).

[2] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت:261هـــ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد البـــاقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّـــارِ، بَـــاب تَحْـــرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ الناس وَأَنَّ مع كل إِنْسَانٍ قَرِينً، رقم (2812) (2166/4).

[3] النووي، أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري، (ت:676هـــ)، **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط1392/2هـــ) (156/17)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما حصل مع أخوة يوسف عليه السلام، عندما حاولوا إقناعه في رد أخيهم إليهم، مع أنه كان لهم حوارات عديدة ناجحة قبل ذلك؛ مثل حوارهم مع أبيهم يعقوب عليه السلام، وحوارهم ونقاشاتهم فيما بينهم من أجل إبعاد يوسف عليه السلام، ولكنْ لحكمة إلهية، شاء المولى عز وجل أن يفشلوا في إقناع يوسف عليه السلام في التخلي عن أخيه، ولكن في نهاية المطاف جمعهم الله سبحانه مع بعضهم تحت سقف واحد، وألَّف بين قلوبهم بعد طول عناء وتعب وضيق.

إنها صورة من صور الصراع لإثبات الذات والموقف، صورة من صور صراع الإرادات؛ ليثبت كل طرف إرادته، وينصر فكرته.

وعندما يعجز أحد الأطراف عن إثبات ذاته وفكرته بالقوة، فإنه يلجأ إلى الإقناع والمحاورة بكل ما أوتي من قوة؛ ليثني الخصم عن إرادته، وإبطال فكرته.

إنه يريد بكل تلك القوة الحوارية أن يوصل خصمه إلى حافة اليأس من المواصلة والاستمرار والتأثير، لكن قوة الحق تحميه وتقيه الانهيار، والثبات على الموقف يقتل اليأس في الداخل.

وما أروعه من مشهد حين ينسلُّ أحد الفريقين يحمل معه إخفاقه وخيبته ويأسه، بعد أن كان قد أعدَّ ذلك لخصمه الذي صبر.

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾[1].

[1] سورة يوسف، آية 80 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقبل الخوض في معنى الآية الكريمة، لا بد من القول بأن وزن (استفعل) من أكثر الأوزان تشعباً في معانيها، وقد وقفت الباحثة على أكثر من عشرة معانٍ لُغَوية لصيغة (استفعل)، فهي تأتي[1]:

1- للسؤال والطلب إما بشكل صريح مثل: استكتبته، أو مقدَّر مثل: استخرجته.

2- للتحول والصيرورة مثل: استحجر الطين.

3- بمعنى (فَعَلَ) مثل: قرَّ واستقرَّ.

4- للتكلُّف نحو: استعظم، واستكبر.

5- للاتخاذ، كاستعبد عبداً، واستأجر أجيراً.

6- للوجود، كاستعظمته، إذا وجدته عظيماً.

7- بمعنى (افتعل)، كاستحصد الزرع واحتصد.

8- للمطاوعة، كأحكمه فاستحكم.

9- للإغناء عنه، كاستحيا، واستأثر.

10- للمصادفة، نحو: استكرمته، واستسمنته.

---

[1] هذه المعاني اللغوية جمعتُها من الكتب الآتية، مع اختلاف عدد المعاني التي أوردها كل كتاب من هذه الكتب: ابن فارس، (ت: 395هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة**، (بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر)، (ص:56). الثعالبي، عبد الملك بن محمد، (ت: 429هـ)، **فقه اللغة**، (بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر)، (ص:86). الزمخشري، (ت:538هـ)، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، (ط1/1993م)، (ص:374). ابن الحاجب، أبو عمرو، عثمان بن عمر الدويني، (ت: 646هـ)، **الشافية في علم التصريف**، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية - مكة، (ط1/1415هـ/1995م)، (ص:21). الرضي، محمد بن الحسن الاستراباذي، (ت: 686هـ)، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد يحيى عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (111/1). ابن عقيل، بهاء الدين، عبد الله، (ت: 769هـ)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر - سوريا، (طبعة سنة 1405هـ/1985م)، (264/4-265). السيوطي، (ت:911هـ)، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (306/3-307).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

11 - لاختصار حكاية المركب، نحو: استرجع، إذا قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

12 - للإصابة على صفة، نحو: استعظمته واستسمنته واستجدته أي: أصبته عظيماً وسميناً وجيداً.

13 - للمبالغة، مثل: استقرَّ.

وترى الباحثة أن كلمة (استيأسوا) التي وردت في الآية الكريمة، والتي جاءت على وزن (استفعلوا)، تأتي بمعنى المبالغة في اليأس، وهو المعنى الأنسب والأقرب لروح الآية الكريمة، بالإضافة إلى أن معظم علماءِ التفسير اختاروا هذا المعنى[1]، باستثناء البقاعي الذي جعله من باب الطلب[2]. وهناك جماعة من المفسرين يقولون بأن (استيأس) هنا جاءت بمعنى: (يئس)[3]، ولكن لو كان الاستيئاس بمعنى اليأس لجاء القرآن الكريم بلفظ (يئس) بدل (استيأس)، ومن المعلوم أن القرآن الكريم منزَّه عن الزيادة؛ إذن لا بدَّ أن يكون لـ (استيأس) معنى زائد عن (يئس)؛ والراجح: أن السين والتاء هنا جاءت للمبالغة والله تعالى أعلى وأعلم.

يقول الآلوسي في معنى الآية الكريمة:﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾[4]: "أي يئسوا من يوسف عليه السلام، وإجابته لهم وإلى مرادهم، ... وقال غير واحد: إن السين والتاء زائدتان للمبالغة: أي يئسوا يأساً كاملاً؛ لأن المطلوب المرغوب مبالغ في تحصيله"[5].

---

[1] انظر: الزمخشري، **الكشاف**، (465/2). الرازي، **مفاتيح الغيب**، (149/18). النسفي، **مدارك التنزيل**، (200/2). القمي، نظام الدين، الحسن بن محمد، (ت: بعد 850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1/1416هـ/1996م)، (112/4). أبا السعود، **إرشاد العقل السليم**، (299/4). الشوكاني، **فتح القدير**، (46/3). الآلوسي، **روح المعاني**، (34/13).

[2] انظر: البقاعي، **نظم الدرر**، (114/4).

[3] انظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، (ت:541هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (269/3). القرطبي، أبا عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، (ت: 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الشعب - القاهرة، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (241/9). أبا حيان، **البحر المحيط**، (330/5). ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، (177/11).

[4] سورة يوسف، آية 80 .

[5] الآلوسي، **روح المعاني**، (34/13)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"ولعل حصول هذه المرتبة من اليأس لهم لما شاهدوه من عوذه بالله تعالى مما طلبوه، الدال على كون ذلك عنده في أقصى مراتب الكراهة، وأنه مما يجب أن يحترز عنه، ويعاذ بالله تعالى منه، ومن تسميته ذلك ظلما بقوله:﴿ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾[1]" [2]، وكانت هي الكلمة الأخيرة في الموقف، وعرفوا أن لا جدوى بعدها من الرجاء؛ فانسحبوا يفكرون في موقفهم المحرج، أمام أبيهم حين يرجعون، وذلك بعد أن يئسوا من محاولة تخليص أخيهم الصغير[3].

وهكذا، فقد "استحكم اليأس في أنفسهم، من قبول العزيز لشفاعتهم، واستعطافهم بعد أن أقام الحجة عليهم، بشرعهم وفتواهم، وأنه إن فعل غيره يكون ظالما بمقتضى شريعتهم وشريعة ملك مصر"[4].

المطلب السادس: اليأس من المحيض

المقصود باليأس من المحيض: "وصول المرأة إلى السنّ التي ينقطع عنها الحيض فيه عادةً، وتنتهي فيه قابليتُها للحمل؛ أي تيأس بعدها من الحمل؛ ولهذا سُمّي هذا السنّ بـ(سنّ اليأس)"[5]، وقد جعل الله سبحانه وتعالى أحكاماً خاصة لهذه الفئة من النساء، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ ﴾[6].

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: "واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم بالحكم فيهن، وفي عددهن، فلم تدروا ما هن، فإن حكم عددهن إذا طلقن وهن ممن دخل بهن

---

[1] سورة يوسف، آية 79.

[2] الآلوسي، **روح المعاني**، (34/13).

[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (2023/4).

[4] المراغي، **تفسير المراغي**، (25/13 -26).

[5] دروزة، محمد عزّت، **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، (طبعة سنة 1383هـ)، (338/8).

[6] سورة الطلاق، آية 4 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أزواجهن، فعدتهن ثلاثة أشهر، ...وكذلك اللائي لم يحضن من الجواري لصغر، إذا طلقهن أزواجهن بعد الدخول"[1].

وورد في سبب نزول هذه الآية: أنه لما نزلت عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها، قال أبي بن كعب: يا رسول الله، إن أناسا من أهل المدينة يقولون: قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء، قال وما هو ؟ قال: الصغار والكبار وذوات الحمل، قال: فنزلت هذه الآية[2].

والحديث وإن كان حول مسائل فقهية في هذه الآية إلا أن كلمة اليأس لها بعد نفسي، يوحي بالضعف والذبول، والتراجع العاطفي، والقصور في المشاركة في البناء المجتمعي، بانقطاع التوالد والتناسل.

وفي القرآن الكريم تعبير آخر عن هذه المرحلة العمرية من حياة النساء، قال تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

والقواعد من النساء: هن اللواتي قعدن عن الولد من الكبر من النساء، فلا يحضن ولا يلدن، وهن بذلك قد يئسن من البعولة فلا يطمعن في الأزواج[4].

واليأس من الحيض يؤدي بطبيعة الحال إلى اليأس من الإنجاب؛ لذلك تعجب زكريا عليه السلام من بشارة الملائكة له بيحيى عليه السلام، على الرغم من كبر سنه وسن امرأته، قال

---

[1] الطبري، **جامع البيان** (142/28)، بتصرف.

[2] انظر: البيهقي، أبا بكر، أحمد بن الحسين بن علي، (ت:458هـ)، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، (طبعة سنة 1414هـ/1994م)، كتاب العدد، باب: سبب نزول الآية في العدة، رقم(15156) (414/7). الحاكم، أبا عبد الله، محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت:405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/1411هـ/1990م)، كتاب التفسير، سورة الطلاق، رقم(3821)(534/2)، وقال عنه :"صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وعلّق عليه الذهبي في التلخيص قائلاً: صحيح.

[3] سورة النور، آية 60 .

[4] انظر: الطبري، **جامع البيان** (165/18).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[1]، "وعاقِر: أي عقيم لا تلد لكبر سنها، من العُقْر وهو: العُقم. يقال: عَقُرَت المرأة تَعْقُرُ عُقْراً وعَقْراً فهي عاقر إذا بلغت سن اليأس من الولادة"[2]، "والمعنى: أيولد لي على سن الشيخوخة وكون امرأتي عاقراً ؟ أي: بلغت سن من لا تلد"[3].

وكذلك تعجبت سارة زوج إبراهيم عليه السلام عندما بشرتها الملائكة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، في الوقت الذي قَعَدَتْ فيه عن الولد[4]، قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾[5].

وقال تعالى في موضع آخر:﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[6]، "أي: أنَّى لي الولد وأنا عجوز، قد بلغت من السن ما لا تلد معه النساء، ومع ذلك فأنا عقيم غير صالح رحمي للولادة أصلاً"[7].

---

[1] سورة آل عمران، آية 40 .

[2] طنطاوي، محمد يوسف، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر)، (97/2).

[3] أبو حيان، **البحر المحيط**، (469/2).

[4] انظر: ابن أبي زمنين، محمد بن عبد الله، (ت: 399هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة - القاهرة، (ط1/1423هـ/2002م) (299/2).

[5] سورة هود، الآيتان (71،72).

[6] سورة الذاريات، الآيتان (28،29).

[7] السعدي، **تيسير الكريم المنان**، (ص:810).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

موقف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من اليأس

يدور محور هذا المبحث حول قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1]، وقد تم تفصيل القول في وزن (استفعل) في المطلب السابق، تحت عنوان : اليأس من الإقناع؛ حيث وردت كلمة (استيأسوا) التي هي على وزن (استفعلوا)، وفي هذا المبحث أيضاً، وردت كلمة (استيأس) التي هي على وزن (استفعل)، ومن الجدير ذكره هنا: أن الخلاف بين المفسرين لم يجرِ على معنى (استيأس) هنا؛ فلم تتجاوز أقوالهم القولَ بأنها تأتي بمعنى (يئس)، أو المبالغة في اليأس، ولكن الخلاف جرى حول ما إذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يئسوا من نصر الله تعالى، أم من إيمان أقوامهم. ومن خلال تفسير هذه الآية، ومناقشة آراء العلماء فيها، ستبرز إجابات عن أسئلة كان لا بد من طرحها عند سماع هذه الآية الكريمة، مفادها: ما موقف الأنبياء من اليأس؟ وهل وصل الأنبياء فعلاً إلى درجة اليأس المذموم؟ وهل كان يأسهم من نصر الله وفرجه أم من إيمان أقوامهم؟

في البداية، ولكي تتضح الإجابة عن مثل هذه التساؤلات، لا بدَّ من التصريح بأن هناك قراءتين متواترتين لهذه الآية، قراءة بالتخفيف:﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾، وقد قرأ أبو جعفر[2]، والكوفيون: ﴿كُذِبُواْ﴾بالتخفيف[3]، "وفيها وجهان من التفسير؛ أحدهما: حتى إذا استيأس الرسلُ من إيمان قومهم، وظن قومُهم أن الرسلَ قد كُذبوا، بمعنى: أُخلفوا ما وعدوه من النصر، جاء الرسلَ نصرُنا، فجُعل الضمير في قوله: ﴿وَظَنُّوٓا﴾ للقوم، وجُعل الظن موافقاً

---

[1] سورة يوسف، آية 110.

[2] هو يزيد بن القعقاع المدني الإمام، (ت: 132هـ)، أحد القراء العشرة، قرأ على مولاه عبد الله بن عياش، وعلى أبي هريرة، وابن عباس، وزيد بن ثابت، كان رجلاً صالحاً، ثقة، يقرئ الناس في المدينة، [انظر: الذهبي، أبا عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد، (ت:748هـ)، **طبقات القرَّاء**، تحقيق: أحمد خان، (ط1/1418هـ/1997م)، (1/49 -53)].

[3] انظر: ابن الجزري، شمس الدين، محمد بن محمد بن يوسف، (ت: 833هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (296/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لفظه معناه. فإن قيل: كيف يجوز أن يحمل الضمير في ﴿ وَظَنُّوٓا ﴾على القوم، والذي تقدم ذكره الرسل؟ قيل: إن ذلك لا يمتنع؛ لأن ذكر الرسل يدل على المرسل إليهم؛ فلهذا جاز أن يحمل الضمير على المرسل إليهم،... والوجه الآخر: حتى إذا استيأس الرسلُ من إيمان قومهم، وظن قومُهم أن الرسلَ قد كَذَبَتْهُم فيما أخبروهم به من أنهم: إن لم يؤمنوا نزل بهم العذاب"[1].

وهذه القراءة المتواترة أخرجها البخاري[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾[3] خفيفة، ذهب بها هناك، وتلا: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[4]، وأخرج الطبري عن ابن عباس قوله: (كانوا بشراً)، ثم تلا قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[5]، وورد عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية: نعم ألم يكونوا بشراً؟[6].

وقرأ الباقون بالتشديد[7] ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾، وهم: "أهل الحجاز والبصرة، وجعلوا الضمير في﴿ وَظَنُّوٓا ﴾ للرسل، والظن بمعنى: اليقين، وحجتهم في ذلك: أن ذكر الرسل قد تقدم، ولم يتقدم ذكر المرسل إليهم، فيجعل الضمير لهم، وإذا كان ذلك كذلك، فالأولى أن يجعل الضمير للرسل، فيكون الفعلان للرسل، ويصير كلاماً واحداً، ومعنى الآية: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظنوا أي: أيقنوا أن قومَهم قد كَذَّبوهم، جاءهم نصرنا أي: جاء

---

[1] ابن زنجلة، **حجة القراءات**، (ص:366 -367)، بتصرف.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب :﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: 214]، رقم (4252)، (1644/4).

[3] سورة يوسف، آية 110.

[4] سورة البقرة، آية 214.

[5] سورة البقرة، آية 214 .

[6] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (86/13).

[7] انظر: ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، (296/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرسلَ نصرُنا. وقال قوم: ليس الظن بمعنى اليقين؛ بل لفظه معناه، قالوا: ومعنى الآية: حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم، وظنت الرسل بأن من قد آمن بهم من قومهم قد كذبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك"[1].

وقد وردت هذه القراءة عن السيدة عائشة رضي الله عنها، فقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة بن الزبير وهو يسألها عن قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾، قال: قلت: أَكُذِبُوا أَمْ كُذِّبُوا؟ قالت عَائِشَةُ: كُذِّبُوا قلت: فَقَدْ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ فما هو بِالظَّنِّ. قالت: أَجَلْ لَعَمْرِي لقد اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ فقلت لها: وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قد كُذِبُوا؟ قالت: مَعَاذَ اللَّهِ لم تَكُنْ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذلك بِرَبِّهَا، قلت: فما هذه الْآيَةُ؟ قالت: هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ فَطَالَ عليهم الْبَلَاءُ وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمْ النَّصْرُ، حتى إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ من قَوْمِهِمْ، وَظَنَّتْ الرُّسُلُ أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ قد كَذَّبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ عِنْدَ ذلك [2].

وبعد عرض هاتين القراءتين الصحيحتين لهذه الآية، يتبين أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم ييأسوا من نصر الله، ولا من فرجه؛ وإنما يئسوا من إيمان أقوامهم، وهذا واضح جلي في رواية عائشة رضي الله عنها، حتى إن رواية ابن عباس رضي الله عنهما لا توحي بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يئسوا من رحمة الله وفرجه، مع أن بعض المفسرين تأولوا كلام ابن عباس الذي جاء فيه: (أنهم كانوا بشراً) تأويلاً يتوافق مع عصمة الأنبياء، يقول الزمخشري: "فإن صح هذا عن ابن عباس، فقد أراد بالظنّ: ما يخطر بالبال، ويهجس في القلب من شبه الوسوسة، وحديث النفس على ما عليه البشرية، وأمّا الظن الذي هو ترجح أحد الجائزين على الآخر، فغير جائز على رجل من المسلمين، فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم، وأنه متعال عن خلف الميعاد، منزه عن كل قبيح ؟"[3].

---

[1] ابن زنجلة، **حجة القراءات**، (ص:367).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ ¦ § ¨ © ﴾ (يوسف: 110)، رقم، (4418)، (1731/4).

[3] الزمخشري، **الكشاف**، (347/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وترى الباحثة: أنه لا داعي لمثل هذه التأويلات؛ لأن ابن عباس لم يصرح بالفاعل، أي أنه لم يقل بأن الأنبياء هم الذين ظنوا، وقد ردَّ ابن حجر هذه التأويلات قائلاً: "ولا يُظَنّ بابن عباس أنه يُجَوِّزُ على الرسول أن نفسه تحدثه بأن الله يخلف وعده؛ بل الذي يُظَنّ بابن عباس أنه أراد بقوله: (كانوا بشراً) إلى آخر كلامه: من آمن من أتباع الرسل، لا نفس الرسل، وقول الراوي عنه (ذهب بها هناك) أي إلى السماء معناه: أن أتباع الرسل ظنوا أن ما وعدهم به الرسل على لسان الملك تخلف، ولا مانع أن يقع ذلك في خواطر بعض الأتباع"[1].

وهذا الكلام يتوافق مع قراءة السيدة عائشة رضي الله عنها، بالإضافة إلى أنها صحَّحَت فهم الصحابة لهذه الآية، ونفت أن يصدر مثل هذا الظن عن رسل الله، وأجازت أن يكون قد ورد ذلك عن أتباع الرسل.

بالإضافة إلى أن معظم المفسرين مالوا إلى هذا الرأي[2]، واستبعدوا أن يحصل اليأس من نصر الله للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فها هو الطبري يعلِّق على مقالة ابن عباس: (أنهم كانوا بشراً، قد ظنوا)، فيقول: وهذا تأويلٌ وقولٌ غيرُه من التأويل أولى عندي بالصواب، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء، والرسل إن جاز أن يرتابوا بوعدِ الله إياهم ويشكوا في حقيقة خبره، مع معاينتهم من حجج الله وأدلته ما لا يعاينه المرسَل إليهم فيعذروا في ذلك، فإن المرسَلَ إليهم لأوْلى في ذلك منهم بالعذر، وذلك قولٌ إن قاله قائلٌ لا يخفى أمره"[3].

---

[1] ابن حجر، **فتح الباري**، (369/8).

[2] باستثناء الزمخشري في **الكشاف**، (480/2)، والبقاعي في **نظم الدرر**، (114/4)، وأبي السعود في **إرشاد العقل السليم**، (310/4)، والسعدي في **تيسير الكريم المنان**، (ص: 407)، وسيد قطب في **الظلال**، (348/4)؛ فقد ذهبوا إلى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يئسوا من نصر الله تعالى، وإذا كان كلامهم صحيحاً، فماذا نفعل بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87]، وهل يصح أن يكون للأنبياء يأس من رحمة الله وفرجه، في الوقت الذي يصف الله سبحانه وتعالى به اليائسين بأنهم كافرون بالله، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام صفوة الخلق، ورسل الرب سبحانه وتعالى، يحملون بين جنباتهم أرقى نفس، وأصلح قلب؟!

[3] الطبري، **جامع البيان**، (4664/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وها هو ابن جزي يضع الاحتمالين في تفسير هذه الآية، وهما: أن الأنبياء إما أن يكونوا يئسوا من إيمان أقوامهم، أو من النصر. ومن ثم يستحسن الاحتمال الأول[1].

وأما الرازي فقد اختار هذا التفسير، ولم يورِد تفسيراً غيرَه، فقال عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾: "أي من إجابة القوم"[2]، واختارَ كلامَ عائشةَ رضي الله عنها وتأويلها، وقال: "هو أحسن الوجوه المذكورة في الآية"[3]، وهذا ما ذهب إليه الصنعاني[4]، والواحدي[5]، والسمرقندي[6]، من قبل.

ومن الجدير بالذكر "أن كلاً من القراءتين ترشد المسلمين وتوجههم وهم يحملون لواء الدعوة إلى الله، فالقراءة الأولى تبين لهم إذا تيقنوا من إعراض المدعوين، ويئسوا من إيمانهم، فحري بهم أن يطمئنوا إلى نصر الله سبحانه، فلا بد أن يصبروا،... أما القراءة الثانية، فإنها تبين للمسلمين أن ما يكون من خطرات النفس وهواجسها بسبب تأخر النصر، لا ينبغي أن يفل عزائمهم أو أن يضعف إرادتهم،... قراءة التشديد تعلمنا أن لا نيأس، وقراءة التخفيف ترشدنا كي نتغلب على الوساوس والهواجس وخطرات النفس، فلكل قراءة وجهة حري بالدعاة إلى الله أن يحسبوا لها حساباً، وهم يقارعون الباطل والشر"[7].

نعم، لا شك أن الأنبياء عاشوا مرحلة دعوية صعبة وشاقة، تمثلت بطول البلاء، وتأخر النصر، وطغيان الظلم والكفر، ولكن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يصلوا إلى مرحلة اليأس، وحاشاهم، ممكن أن يكونوا يئسوا من إيمان أقوامهم، وممكن أن يكون أتباعهم قد يئسوا من

---

[1] انظر: الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي، (ت:741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي – لبنان، (ط4/1403هـ/1983)، (129/2).

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (38/23).

[3] المرجع السابق، (181/18).

[4] انظر: الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، (ت:211هـ)، **تفسير القرآن**، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد – الرياض، (ط1/1410هـ)، (2329).

[5] انظر: الواحدي، أبا الحسن، علي بن أحمد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية - بيروت، (ط1/1415هـ)، (563/1).

[6] انظر: السمرقندي، **بحر العلوم**، (213/2).

[7] عباس، فضل، **التفسير أساسياته واتجاهاته**، مكتبة دنديس - عمان، (ط1/1426هـ/2005م)، (ص:129)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحقق وعد الله لأنبيائه، وممكن أن يكون الأتباع قد شكوا بصدق أنبيائهم، ويئسوا من أقوالهم، ولكن من غير الممكن أن يخطر ببال نبي من الأنبياء أن الله سبحانه وتعالى لن يحقق وعده، أو أنه سبحانه لن ينصر نبيه.

ومما يؤيد ذلك، أن القرآن الكريم عرض علينا مواقف صعبة مرَّ بها أنبياء الله عليهم أفضل الصلاة والسلام، كان اليأس من رحمة الله هو النهاية المتوقعة، في مثل هذه المواقف لغيرهم من البشر، فقد مرَّ في ثنايا هذا البحث: ما عاناه سيدنا يعقوب عليه السلام من محن وابتلاءات صعبة، كان منها فقده ليوسف وأخيه، فما كان منه إلا أن قال: ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1]، بل إنه أمر أبناءه بعدم اليأس من روح الله.

بل إن الذي ورد في القرآن الكريم، وكان وروده في عدة مواضع هو: أن الأنبياء يئسوا من إيمان أقوامهم، حتى إن بعضهم دعا على قومه بعد أن قطع الأمل من أن يؤمنوا.

فعندما بلغ اليأس من القوم مداه عند نوح عليه السلام، دعا ربه أن يأخذ قومه بعاجل ذنوبهم، قال تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ۝٢٧ ﴾[2،3].

يقول ابن عطية: "هذه المقالة قالها نوح عليه السلام بعد أن طال عمره، وتحقق اليأس عن قومه"[4].

وقد دعا نوح عليه السلام على قومه بالضلال، يقول الله سبحانه وتعالى حكاية عنه: ﴿ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴾[5]، "فإن قلت: كيف جاز أن يريد لهم

---

[1] سورة يوسف، آية 86 .

[2] سورة نوح، الآيتان، (26،27).

[3] انظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (993/12).

[4] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (373/5).

[5] سورة نوح، آية 24 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الضلال ويدعو الله بزيادته؟ قلت: المراد بالضلال: أن يُخْذَلُوا ويُمْنَعُوا الألطاف؛ لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من إيمانهم، وذلك حسن جميل يجوز الدعاء بـه؛ بـل لا يحسـن الـدعاء بخلافه"[1].

وقال تعالى في شأن إبراهيم عليـه السـلام:﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[2]، فقد كان تَولِّي القوم عن إبراهيم عليه السـلام هـو نهاية المطاف في دعوته لهم، ومحاجّتهم له، فقد انتهى الأمر بينه وبين قومه إلى اليأس منهم أن يؤمنوا، وإلى اليأس منه أن يَعْبُدَ ما يعبدون[3]، وبعد ما يئس إبراهيم عليه السلام من إيمان قومـه هاجر من موطنه، قال تعالى:﴿ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[4]، فلما "بالغ إبراهيم في الإرشاد ولم يهتد قومه، وحصل اليأس الكلي حيث رأى القوم الآية الكبرى، ولم يؤمنوا، وجبت المهاجرة"[5].

وها هو صالح عليه السلام يتخلى عن قومه ويتركهم بعد اليأس منهم[6]، قال تعـالى فـي شأنه عليه السـلام:﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[7].

---

[1] الزمخشري، **الكشاف**، (622/4).

[2] سورة الصافات، الآيات، (83 -90).

[3] انظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (998/12).

[4] سورة العنكبوت، آية 26 .

[5] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (49/25).

[6] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (242/7).

[7] سورة الأعراف، آية 79 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى إن الله سبحانه وتعالى يدعو المؤمنين إلى اليأس من إيمان الكفار واليهود في أكثر من موضع في القرآن الكريم، بعد أن استقر في علمه سبحانه وتعالى أنه لا إيمان لمثل هؤلاء الكفرة المعاندين، يقول المولى عز وجل: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1]. والله سبحانه وتعالى قادر على أن يهدي جميع الناس إلى الإيمان، ولكن شاءت إرادته سبحانه أن ينقسم الناس أمام هذا الدين إلى مؤمن وكافر، ومخلص ومنافق، وطائع وعاصٍ، وذلك كله عن حكمة وعدل.

وبعد أن عرض القرآن الكريم صورة الجفاف والقسوة والجدب التي كانت عليها قلوب بني إسرائيل في سياق هذه الآيات، وهي صورة الحجارة الصلدة التي لا تنبض فيها حياة، ولا يلين لها ملمس، وهي توحي باليأس من هذه الطبيعة الجامدة الخاوية، يلتفت السياق إلى المؤمنين، الذين يطمعون في هداية بني إسرائيل، ويحاولون أن يبثوا في قلوبهم الإيمان، وأن يفيضوا عليها النور بسؤال يوحي باليأس من المحاولة، وبالقنوط من الطمع؛ لأنه لا مطمع ولا رجاء في أن يؤمن أمثال هؤلاء؛ فللإيمان طبيعة أخرى، واستعداد آخر[2].

لذلك فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بأن يترك الحزن والأسف والضيق على من لم يؤمن من قومه، وأن لا يلوم نفسه على عدم دخولهم في دين الله، قال تعالى:﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[3]، "يعني: أشفِقْ على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك"[4]، وفي سياق مشابه يقول المولى عز وجل:﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[5]،

---

[1] سورة البقرة، آية 75 .

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (84/1).

[3] سورة الشعراء، آية 3 .

[4] الزمخشري، **الكشاف**، (305/3).

[5] سورة الكهف، آية 6 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و" المقصود منه أن يقال للرسول: لا يَعْظُم حزنك وأسفك بسبب كفرهم، فإنا بعثناك منذراً ومبشراً، فأما تحصيل الإيمان في قلوبهم فلا قدرة لك عليه، والغرض: تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم"[1]، والله سبحانه وتعالى هو القائل:﴿ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2]، "أي لا تأسف ولا تحزن لزيادة طغيانهم وكفرهم؛ فإن غائلة ذلك موصولة بهم، وتبعته عائدة إليهم، وفي المؤمنين غنى لك عنهم"[3].

فيأس الأنبياء من إيمان أقوامهم ثبت في القرآن الكريم في مواضع عديدة، أما يأسهم من نصر الله وفرجه فلم يرد ولا في موضع واحد لا بالتصريح ولا بالتلميح، بل كل الذي ورد هو أنهم ثبتوا وتعلقوا بخيار الأمل والرجاء في مواقف صعبة، كان اليأس فيها هو النتيجة المتوقعة في مثل هذه الحالات.

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (67/21).

[2] سورة المائدة، آية 68 .

[3] الآلوسي، **روح المعاني**، (200/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

أسباب اليأس وجزاء اليائسين

المبحث الأول: أسباب اليأس

المبحث الثاني: جزاء اليائسين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

أسباب اليأس

المطلب الأول: الكفر والمعاصي

إنه لمن المفيد في بداية هذا المطلب أن توضح الباحثة أن هناك علاقةً وثيقةً، وتلازماً قوياً بين الكفر واليأس؛ فالكافر يائس من رحمة الله لا محالة؛ وما ذلك إلا لأنه قطع الصلة بينه وبين خالقه، واليائس من رحمة الله، القانط مما عنده سبحانه، كافر جاحد؛ إذا هو أصرَّ على اليأس، وداوم عليه، يقول سيد قطب مشيراً إلى هذه العلاقة: "ذلك أنه لا ييأس الإنسان من رحمة الله إلا حين يكفر قلبه، وينقطع ما بينه وبين ربه، وكذلك هو لا يكفر إلا وقد يئس من اتصال قلبه بالله، وجَفَّتْ نداوته، ولم يعد له إلى رحمة الله سبيل"[1].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]؛ فهم "لما كفروا أخرجوا أنفسهم عن محل الرحمة؛ لأن من يكون له جهة واحدة تدفع حاجته لا غير؛ يُرحَم، وإذا كان له جهات متعددة لا يبقى محلاً للرحمة، فإذا جعلوا لهم آلهة، لم يعترفوا بالحاجة إلى طريق متعين؛ فييأسوا من رحمة الله"[3].

وقد عدَّ القرآن الكريم اليائسين من جملة الكافرين؛ حتى إنه استعمل أداة الحصر للدلالة على ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[4] ؛ وذلك "لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته؛ فإن العارف لا يقنط في حال من الأحوال"[5].

يقول الفخر الرازي: "واعلم أن اليأس لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال، أو غير عالم بجميع المعلومات، أو ليس بكريم، واعتقاد كل من هذه الثلاث يوجب

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (2731/5).

[2] سورة العنكبوت، آية 23.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (45/25).

[4] سورة يوسف، آية 87.

[5] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (303/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكفر، فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند حصول أحدها، وكل منها كفر، ثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافراً"[1].

وعلى نسق مشابه عدَّ القرآن الكريم القانطين من رحمة الله ضالين مخطئين، قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[2]، وقد فسر السمعاني الضلال في هذه الآية بالكفر[3]؛ وذلك لأن القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا عند جهل الإنسان بقدرة الله تعالى، وبكونه منزهاً عن البخل والحاجة والجهل، وبكونه عالماً باحتياج ذلك العبد إليه، وهذه الأمور كلها سبب للضلال[4].

فالإنسان إذا كان لا يؤمن بوجود رب خالق، فإنه إذا نزل به ما يكره من مصائب يراها شراً، استبد به اليأس والقنوط، فقعد كئيباً حزيناً يجتر آلامه ويمضغ أحزانه، أو كان يؤوساً من حياته ومستقبله، وإذا أنعم الله عليه انطلق في متاع الدنيا واستغرق في لذاتها، أو نأى بجانبه عن عبادته وطاعته، واتبع شيطانه وهواه، فهو إما مسرف طاغ أو يؤوس قنوط، وهو في كلتا الحالتين أعمى البصيرة كفور، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾[5]، [6] .

فالكفر معقل قوي لليأس، وأرض خصبة له، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[7]، أي "يئس من رحمة الله تعالى من حمل إلى موقف القيامة شركاً؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريك من خلقه"[8].

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (159/18).

[2] سورة الحجر، آية 56.

[3] انظر: السمعاني، أبا المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار، (ت:489هـ)، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – السعودية، (ط1/1418هـ/1997م) (144/3).

[4] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**،(157/19).

[5] سورة الإسراء، آية 83.

[6] انظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم – دمشق ، (ط5/1420هـ/1999م) (400/1).

[7] سورة طه، آية 111.

[8] النسفي، **مدارك التنزيل**، (3/68 -69).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والناظر إلى حال الكفار الأجانب اليوم، فإنه سيلحظ ارتفاع حالات الانتحار عندهم[1]؛ وما ذلك إلا لأنهم عاشوا فراغاً روحياً قاتلاً، مبتعدين كل البعد عن خالقهم، وعن الإيمان بقضاء الله وقدره، فلا غرابة في أن يستحكم اليأس والقنوط قلوبهم الخاوية بيسر وسهولة.

وقد جاء في القرآن الكريم أن الكفر باليوم الآخر، وإنكار البعث والنشور، يؤدي إلى اليأس والخيبة والخذلان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، أي: أن الذين يكذبون بآيات الله تعالى، وينكرون لقاءه، إما أنهم سييأسون من رحمة الله تعالى يوم القيامة، أو أنهم يئسوا منها في الدنيا؛ لإنكارهم البعث والجزاء[3]، والحاصل أن يأسهم حاصل ومتحقق لا محالة؛ لأنهم لم يرجوا لقاء الله يوماً، ولا قال أحد منهم: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين[4].

ولا يخفى على أحد منا ما للإيمان باليوم الآخر من ثمار زكية على النفس الإنسانية؛ فهو يطمئن النفس، ويزيل الهم، ويريح العقل من عناء التفكير؛ فإذا أصاب الإنسانَ المؤمنَ باليوم الآخر بلاءٌ من مرض أو فقر أو مصيبة فإنه يصبر، ويتذكر أن هناك يوماً لا بد من مجيئه، ستنصب فيه الموازين، وسيثاب على صبره، وسيعلم حينها أن معاناته وألمه وسهره لم تذهب سدى؛ لذلك كان إنكار هذا اليوم والكفر به باعثاً لليأس مُظهراً له، وكان مُنكِرُهُ محبطاً بئيساً، يجر أذيال الخيبة والحرمان، لا ينتظر جزاءً ولا فرجاً.

ويعزو الشيخ الميداني السبب في كون الإنسان ملحاحاً في الدعاء لنيل خيرات الدنيا، ويؤوساً قنوطاً عند وقوعه في المحن والابتلاءات إلى عدم الإيمان باليوم الآخر، مع كونه مؤمناً بالله تعالى، يقول حبنكة: "وإذا كان يؤمن برب خالق بيده تصريف المقادير...إلا أنه لا يؤمن باليوم الآخر، ولا بما أعد الله فيه من جزاء، أو لا تخطر قضية الإيمان باليوم الآخر على فكره،

---

[1] انظر: http://www.hayatnafs.com/kadaya_nafsia_ijtema3ia/on-suicide.htm

[2] سورة العنكبوت، آية 23 .

[3] انظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (313/4). أبا السعود، **إرشاد العقل السليم**، (36/7).

[4] انظر: البقاعي، **نظم الدرر**، (549/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنه كثير الطلب ملحاح في الدعاء لنيل مطالبه، ومَحابِّه من الحياة الدنيا، فهو لا يسأم من دعاء الخير، والاستزادة من زينة الحياة الدنيا، وإذا مسه شر كان يؤوساً قنوطاً، أو صاحب دعاء عريض مستعرض، بالاعتراض على الله في مقاديره التي لم تتفق مع ما يحب لنفسه من الخير"[1]، قال تعالى: ﴿ لا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾[2].

ويزداد الكافر اليائس يأساً وخذلاناً عند مواجهته لمصيره المحتوم يوم القيامة، ومعاينته للعذاب الشديد الذي لا مفر ولا ملجأ منه، فلأهوال يوم القيامة، وما يشاهده الإنسان من ميزان وصراط وجنة ونار، وقْعٌ عظيم على النفس البشرية، سواء أكانت محسنة أم مسيئة، وقْعٌ يخفي وراءه صورة انفعالية من الخوف والفزع والقلق، ويزداد هذا الشعور لدى الكافر الجاحد الذي لم يلامس الإيمانُ قلبَه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[3].

يقول سيد قطب: "وهو عذاب دائم، وفي درجة شديدة عصيبة، لا يفتر لحظة، ولا يبرد هنيهة، ولا تلوح لهم فيه بارقة من أمل في الخلاص، ولا كوة من رجاء بعيد، فهم فيه يائسون قانطون"[4]، فإذا وقع هذا العذاب، وعذبوا في نار جهنم، فحينئذ يبلسون[5].

وقد أجاد الرازي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ

---

[1] الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**،(402/1)، بتصرف.

[2] سورة فصلت، آية 49 .

[3] سورة الزخرف، الآيتان (74،75).

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (3202/5).

[5] انظر: الزمخشري، **الكشاف**، (200/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كَٰفِرِينَ ﴿٣٦﴾[1]، وفي تصوير حال هؤلاء الكفار البائسين؛ حين يلاقون العذاب الأليم؛ لذلك ترى الباحثة أنه من المفيد نقل كلامه كاملاً، يقول رحمه الله: "في ذلك اليوم يتبين إفلاسهم، ويتحقق إبلاسهم، والإبلاس يأس مع حيرة، يعني يوم تقوم الساعة يكون للمجرم يأس محير، لا يأس هو إحدى الراحتين؛ وهذا لأن الطمع إذا انقطع باليأس، فإذا كان المرجو أمراً غير ضروري، يستريح الطامع من الانتظار، وإن كان ضرورياً بالإبقاء له، فبدونه ينفطر فؤاده أشد انفطار، ومثل هذا اليأس هو الإبلاس"[2].

"ولنبين حال المجرم وإبلاسه بمثال، وهو أن نقول: مثله مثل من يكون في بستان وحواليه الملاعب والملاهي، ولديه ما يفتخر به ويباهي، فيخبره صادق بمجيء عدو لا يرده رادّ، ولا يصده صادّ، إذا جاءه لا يبلعه ريقاً، ولا يترك له إلى الخلاص طريقاً، فيتحتم عليه الاشتغال بسلوك طريق الخلاص، فيقول له طفل أو مجنون: إن هذه الشجرة التي أنت تحتها لها من الخواص دفع الأعادي عمن يكون تحتها، فيقبل ذلك الغافل على استيفائه ملاذه، معتمداً على الشجرة بقول ذلك الصبي، فيجيئه العدو ويحيط به، فأول ما يريه من الأهوال قلع تلك الشجرة فيبقى متحيراً آيساً مفتقراً، فكذلك المجرم في دار الدنيا أقبل على استيفاء اللذات وأخبره النبي الصادق بأن الله يجزيه، ويأتيه عذاب يخزيه، فقال له الشيطان والنفس الأمارة بالسوء: إن هذه الأخشاب التي هي الأوثان دافعة عنك كل بأس، وشافعة لك عند خمود الحواس، فاشتغل بما هو فيه واستمر على غيه، حتى إذا جاءته الطامَّة الكبرى، فأول ما أرته إلقاء الأصنام في النار فلا يجد إلى الخلاص من طريق، ويحق عليه عذاب الحريق، فييأس حينئذٍ أي إياس، ويبلس أشد إبلاس"[3].

---

[1] سورة الروم، الآيتان (12،13).

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (25/89-90).

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (25/89-90).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد محاورات عديدة ومناجاة يائسة، يقول الله لهم:﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[1]، وعند سماع هذه الكلمة؛ ييأسون من كل خير، ويدعون على أنفسهم بالويل والثبور[2].

وعندما يتأكد يأسهم من النجاة والمغفرة، يطلبون من خازن النار إهلاكهم والقضاء عليهم: ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾[3]، "إنها صيحة متناوحة من بعد سحيق، من هناك من وراء الأبواب الموصدة في الجحيم، إنها صيحة أولئك المجرمين الظالمين، إنهم لا يصيحون في طلب النجاة ولا في طلب الغوث، فهم مبلسون يائسون... وإن هذا النداء ليلقي ظلاً كثيفاً للكرب والضيق، وإننا لنكاد نرى من وراء صرخة الاستغاثة نفوساً أطار صوابها العذاب، وأجساماً تجاوز الألم بها حد الطاقة، فانبعثت منها تلك الصيحة المريرة"[4].

ولا شك في أن هؤلاء المجرمين واجهوا ما لا طاقة لهم به من العذاب، حتى وصلوا إلى هذه الحالة الميؤوس منها، وإلى هذا الوضع المتردي الكئيب.

وأما الذنوب والمعاصي وما أكثرها عند بني البشر؛ فإن من شأنها أن تثقل الإنسان بالهموم والأحزان، وتقعده عن عمل الخير بعد أن تصيبه باليأس والإحباط.

يقول المناوي: "واعلم أن النفس إذا كانت ذات شره وشهوة غالبة فارت بدخان شهواتها كدخان الحريق؛ فأظلمت الصدر فلم يبق له ضوء بمنزلة قمر ينكسف، فصار الصدر مظلما، وجاءت النفس بهواجسها وتخليطها واضطربت، فظن العبد أن الله لا يعطف عليه ولا يرحمه ولا يكفيه أمر رزقه ونحو ذلك، وهذا من سوء الظن بالله؛ وصل إلى حال اليأس من الرحمة ووقع في القنوط"[5].

---

[1] سورة المؤمنون، آية 108.

[2] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (59/18).

[3] سورة الزخرف، آية 77.

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (3202/5).

[5] المناوي، **فيض القدير**، (78/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ذهب محمد نوح إلى أن اليأس الذي يصيب العاملين في طريق الدعوة ناتج عن كثرة المعاصي والسيئات، وتصور أن الله شديد العقاب فقط، وأنه لن يغفر، ولن يعفو، ولن يتجاوز بحال من الأحوال[1].

قال تعالى:﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]، وأسرفوا على أنفسهم: "أي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم، وقيل: هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش"[3].

وورد في سبب نزول هذه الآية: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لِما عملنا كفارة، فنزلت[4]، وجاء في تفسير الطبري: أن هؤلاء القوم من أهل الشرك قالوا لما دُعُوا إلى الإيمان بالله: كيف نؤمن وقد أشركنا وزنينا وقتلنا النفس التي حرم الله، والله أعد لمن يفعل ذلك النار، فما ينفعنا مع ما قد سلف منا؟[5].

وبعد أن أورد الطبري أقوالاً أخرى في المسألة قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عَنَى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك؛ لأن الله عمَّ بقوله ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾جميع المسرفين فلم يخصص به مسرفا دون مسرف"[6]، وهذا ما ذهب إليه ابن عادل الدمشقي، وابن عاشور[7].

---

[1] انظر: نوح، محمد، **آفات على الطريق**، دار الوفاء - المنصورة، (ط6/1420هـ/1999م)، (125/3).

[2] سورة الزمر، آية 53.

[3] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (80/6).

[4] انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ... ﴾الآية (الزمر: 53)، رقم(4532)(1811/4).

[5] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (14/24).

[6] المرجع السابق، (16/24).

[7] انظر: ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، (528/16). ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (41/24).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأياً كان المقصود من هذه الآية؛ فإنه قد تراكمت على هؤلاء المسرفين ذنوبهم، وكثرت عيوبهم، وحجبت عنهم رجاء المغفرة من الله عز وجل.

وهذا النداء جاء بعد ما غرق العبد في المعصية، وأسرف في الذنب، وحسب أنه قد طُرِدَ وانتهى أمره، وبدأ يعيش لحظات اليأس والقنوط[1].

وقد ذكر ابن القيم أن من نتائج المعصية: ضيق الصدر، وطول الهمِّ والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال، وهذه تتولد عن المعصية والغفلة عن ذكر الله، كما يتولد الزرع عن الماء، والإحراق عن النار[2]، فنتائج المعصية بمجملها تقود إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، إلا إذا ثاب العبد إلى رشده، وتاب إلى خالقه، وآب إليه، فعندها يبدل الله سيئاته حسنات، ويرزقه الطمأنينة وراحة البال.

وهكذا فإن من كان قلبه عامراً بالإيمان، موصولاً بذي الرحمة والغفران؛ فإنه أبعد ما يكون عن اليأس والخذلان، ومن كان قلبه خالياً من أي عمل يرضي به رب الأرض والسماوات؛ فليس أسهل من أن يُكَبَّلَ هذا القلب بقيود اليأس والحرمان.

المطلب الثاني: الابتلاءات والمحن

الابتلاءاتُ والمحنُ محطاتٌ صعبةٌ في مسار الحياة، ومسارُ الحياةِ يمتدُ من الميلاد إلى الوفاة.

ومن الطبيعي أن العطاءَ والمنعَ في الحياة، مسألتان تُقْبِلان بقلب الإنسان وفكره وروحه على مولاه، أو تُدْبِران بكل ذلك عن صراطه.

---

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (3058/5).

[2] انظر: ابن القيم، أبا عبد الله، محمد بن أبي بكر (أيوب) الزرعي،(751هـ)، **الفوائد**، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط2/1393هـ/1973م)،(ص:32 -33).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإقبالُ والإدبارُ مسألةٌ نسبيةٌ، تحددها مساحة الإيمان واليقين والتوكل، وكل ذلك يختلف من مؤمن إلى آخر، ومن إنسان إلى آخر، وبين الإيمان والكفر تتردد الروح رضـاً ورفضـاً، وقبولاً ويأساً.

ومربعات الابتلاء والمحنة التي قد تؤدي إلى اليأس، مذكورة بشكل تفصيلي في سـورة البقـرة فـي قولـه تعـالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[1]، "وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده، فمن صبر أثابه، ومن قنط أحلَّ به عقابه"[2].

وكأن الله عز وجل أراد من هذه الآية أن يحذر من مسـألة الانجـرار خلـف المـواد المذكورة، واللهاث وراء بريقها، والذوبان في فتنتها، وكأنها هي المصائد التـي تظهـر قـدرة الإنسان على تجاوزها، أو السقوط فيها.

فـ"الجزع في هذه المواطن هو الذي يثقّل المصيبة، ويولّد منها مصائب، فيضاعف معها البلاء، ويعظم الألم، ويطبق اليأس، ويغلق كل باب للأمل والرجاء، أما الذي يَلْقَى أحداث الحياة ومصائبها بالصبر، ويواجهها بالتسليم والرضا، عن يقين وإيمان بأن ما وقع إنما هو بقضاء اللّه وقدره؛ فإن ذلك يهوّن عليه من وقع المصائب وإن عظمت، ويمدّه بمعين عظـيم مـن الصـبر والاحتمال، ويفتح له باباً واسعاً من الأمل والرجاء فيما هو خير عند اللّه وأبقى"[3].

فالفتنة والصمود أمامها، يحتاجان إلى صبر شديد، ومقاومـة هائلـة، وعـدم انصـياعٍ لرغبات النفس وتطلعاتها؛ لذلك كان لمن يجتاز هـذه المراحـل والعقبـات بشـارة عظيمـة: ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَبَشِّرِ ﴾[4]، الذين تحصنوا بقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[5].

---

[1] سورة البقرة، آية 155 .

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (198/1).

[3] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (176/1).

[4] سورة البقرة، آية 155 .

[5] سورة البقرة، آية 156 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كانت شيمة الصبر هي الصفة الأبرز لمن تعاملوا مع الشدائد والابتلاءات، في وقت الضيق والشدة بالقبول والرضا، ورَدِّ الأمر لله، فإن غيرهم سقطوا في أول الطريق، ولم يصبروا؛ وفَعَلَ اليأسُ فِعْلَهُ في قلوبهم، وذَهَبَتْ عقولُهم أسفاً وطمعاً وحسرة، فقادهم هذا الشعور إلى مشاعرَ غريبةٍ، ربما يكون من محتواها: الرعبُ من المجهول، وعدمُ الركونِ إلى رب الأرباب، فتقطَّعَت بِهِمُ الأسباب.

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾[1].

"يقول تعالى ذكره: ولئن أذقنا الإنسان منا رخاءً وسعةً في الرزق والعيش فبسطنا عليه من الدنيا، وهي الرحمة التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع .... ثم سلبناه ذلك، فأصابته مصائب أجاحته، فذهبت به ... يظل قنطا من رحمة الله آيسا من الخير"[2].

و"إن لفظ الإذاقة والذوق يفيد أقل ما يوجد به الطعم، فكان المراد أن الإنسان بوجدان أقلِّ القليل من الخيرات العاجلة يقع في التمرد والطغيان، وبإدراك أقلِّ القليل من المحنة والبلية يقع في اليأس والقنوط والكفران؛ فالدنيا في نفسها قليلة، والحاصل منها للإنسان الواحد قليل، والإذاقة من ذلك المقدار خير قليل، ثم إنه في سرعة الزوال يشبه أحلام النائمين وخيالات الموسوسين، ... ومع ذلك فإن الإنسان لا طاقة له بتحملها ولا صبر له على الإتيان بالطريق الحسن معها"[3].

وفي موضع آخر، يقول تعالى ذكره: ﴿لا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[4]، فهذا الإنسان "إن أحسَّ بخير وقدرة انتفخ وتعظَّم، وإن أحس

---

[1] سورة هود، آية 9 .

[2] الطبري، **جامع البيان**، (7/12)، بتصرف.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (153/17) بتصرف.

[4] سورة فصلت، آية 49 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ببلاء ومحنة ذَبُلْ، كما قيل في المثل: إن هذا كالقرلي، إن رأى خيراً تدلى، وإن رأى شراً تولى[1،2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن قوله تعالى:﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[3] لا ينافي قوله بعد ذلك: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾[4]؛ "لأن الأول في قوم، والثاني في قوم، أو قَنوطٌ في البر، ذو دعاء عريض في البحر، أو قَنوطٌ بالقلب، ذو دعاء عريض باللسان، أو قَنوطٌ من الصنم، ذو دعاء لله تعالى"[5].

نعم، إنه مما لا شك فيه أن الابتلاءات والمصائب لها تأثيرها القوي على النفس الإنسانية؛ فالخوف نقيضه الأمن، والجوع نقيضه الشبع، والغنى نقيضه نقص الأموال، ونقص الأنفس ضعف وحسرة وحزن، والخصب نقيض نقص الثمرات. والخوف، والجوع، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، من منغصات الحياة، ومقدمات الجزع والخوف.

لكن الوضع الطبيعي أن يلجأ الإنسان في مثل هذه الأحوال إلى من بيده الأمر كله؛ من أجل أن يخرج من هذا المأزق، أما إذا كانت العلاقة بين العبد وربه، تسير في غير الاتجاه الصحيح، وكان العصيان دأب العبد، وكانت العقوبة غضب الرب؛ فإن هذا الأمر لا يلبث أن ينقلب إلى مجموعة من النكسات، والارتباكات في نفس العبد، لا يستطيع معها أن يحسن الظن بمولاه، أو يلجأ إليه عند الشدة؛ فيكون اليأس من رحمته هو المحصلة التي تتغلغل في قلوب العصاة وأرواحهم.

---

[1] هذا المثل يضرب في الذي يهلع من الشر، ويطمع في الخير، والقرلي: طائر جارح، أبلق ببياض، وسواد هفاف، يتعلق غالباً فيزج نفسه فيختلس السمك بمنقار له طويل، وهو غير محب للإنسان، ولا يزال مرفوعاً في البخار يرى شيئاً من معاشه، فيتدلى لأخذه، ولم ير قط طائراً، ولا واقفاً، بل محدم، وجناحاه في خلفهما لا يعرفان السكون أبداً، بل يخفقان دائماً، [انظر: الوطواط، أبا إسحاق، برهان الدين، محمد بن إبراهيم، (ت:718هـ)، **مباهج الفكر ومناهج العبر**،(بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر)، (ص:86)].

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (118/27).

[3] سورة فصلت، آية 49 .

[4] سورة فصلت، آية 51 .

[5] النسفي، **مدارك التنزيل**، (4/94-95).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول صاحب الظلال تحت قولـــه تعـــالى:﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[1]: "وهي كذلك صورة للنفس التـــي لا ترتبط بخط ثابت تقيس إليه أمرها في جميع الأحوال؛ وميزان دقيق لا يضطرب مع التقلبـــات، الناس هنا مقصود بهم أولئك الذين لا يرتبطون بذلك الخط، لا يزِنون بهذا الميزان، هم يفرحون بالرحمة فرح البطر الذي ينسيهم مصدرها وحكمتها، فيطيرون بهـــا، ويســـتغرقون فيهـــا، ولا يشكرون المنعم، ولا يستيقظون إلى ما في النعمة من امتحان وابتلاء، حتى إذا شـــاءت إرادة الله أن تأخذهم بعملهم فتذيقهم حالة سيئة، عموا كذلك عن حكمة الله في الابتلاء بالشدة، وفقدوا كـــل رجاء في أن يكشف الله عنهم الغمة؛ وقنطوا من رحمته ويئسوا من فرجه؛ وذلك شأن القلـــوب المنقطعة عن الله، التي لا تدرك سننه ولا تعرف حكمته، أولئك الذين لا يعلمون، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا!"[2].

وقبول مسألة الابتلاء والمحنة والفتنة والتعامل معهـــا، أو رفضـــها وعـــدم اســـتيعابها، تَصنَعُها في النفس مجموعةٌ من العوامل، والمُحَدِّدَات التي ترسم شخصية الإنسان وقناعاته، حتى إن المؤمنين أنفسهم درجات في ذلك، وكلما ازداد منسوب الإيمان في النفس، واشتد تغلغله فـــي جنباتها، كان استيعاب النفس للابتلاء أشد، وتفاعلها معه ينطلق من فهمها علـــى أنهـــا مرحلـــة التنقية، والتمحيص، ورفع الدرجات.

فهاهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، يعاتبهم رب العزة سبحانه وتعالى على مـــا بَدَرَ منهم من الهلع والجزع، حينما أشيع بينهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد قُتِل، وكان ذلك في معركة أحد، عندما شُجَّ رأسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل قول الله تعـــالى:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ

[1] سورة الروم، آية 36 .

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (2771/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[1]، أي: إذا مات محمد صلى الله عليه وسلم لانقضاء أجله أو قَتَلَهُ عدوُّكُم ارتددتم عن دينكم، الذي بعث الله محمداً بالدعاء إليه، ورجعتم عنه كفاراً بالله بعد الإيمان به[2].

وتَجَاوَزَ الصحابةُ رضي الله عنهم هذه العقبة، وتغلبوا على ما كان ينتابهم من الشعور بالهلع والضيق؛ وذلك لأنهم يحملون في قلوبهم إيماناً راقياً، ويقيناً جازماً.

فكم هو رائع أن يرتقيَ الإنسان بإيمانه حتى يحسب الابتلاء والمحن، منَّة وهبة من الله يؤتيها من يشاء من عباده، وهذا يعني أن تعامل المؤمن مع فلسفة الابتلاء تسير ضمن عقيدة: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3]، ويسير ضمن التوجيه النبوي: "ما يُصِيبُ الْمُسْلِمَ من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أَذًى ولا غَمٍّ حتى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلا كَفَّرَ الله بها من خَطَايَاهُ"[4].

---

[1] سورة آل عمران، آية 144 .

[2] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (110/4).

[3] سورة التوبة، آية 51 .

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، رقم(5318)، (2137/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

جزاء اليائسين

المطلب الأول: استحقاقهم غضب الله تعالى

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾[1].

لا شك في أن الذين غضب الله عليهم بنصِّ هذه الآية هم من اليهود، ولكن الحكم بالغضب يجري على كل من حمل صفاتهم، وسار على دربهم، وحذا حذوهم. هذا ما يراه البقاعي حيث يقول: "غضب الله: أي أوقع الملك الأعلى الغضب عليهم؛ لإقبالهم على ما أحاط بهم من الخطايا، فهو عام في كل من اتصف بذلك، يتناول اليهود تناولاً أولياً؛ ولما كان السامع لهذا يتوقع بيان سبب الغضب، قال معللاً ومبيناً أنه: لا خير فيهم يرجى، وإن ظهر خلاف ذلك؛... فهم قد باؤوا بغضب من الله، بعد أن يئسوا من الآخرة، ومن أن ينالهم فيها خير، وتجاوزوا الحد في المعاصي والآثام"[2].

ويظهر من كلام البقاعي: أن غضب الله سبحانه وتعالى الواقع على اليهود ومن حذا حذوهم، كان بسبب يأسهم من رحمة الله تعالى، وتماديهم في المعاصي والآثام، ويمكن القول إلى جانب ما ذكره البقاعي: أن أبرز ما يتصف به اليهود وأشياعهم: صفتان ملازمتان لهما؛ الأولى: أن الله عز وجل غضب عليهم، فهم الموصوفون بصريح القرآن الكريم بـ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾[3]، والثانية: أنهم يائسون من رحمة الله تعالى، وهذا ما يفيده إعراب الآية الكريمة، حيث أن جملة: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ الفعلية جاءت في محل نصب صفة أولى لـ﴿قَوۡمًا﴾، وجملة: ﴿يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الفعلية جاءت في محل نصب صفة ثانية، وترى

---

[1] سورة الممتحنة، آية 13 .

[2] البقاعي، **نظم الدرر**، (568/7)، بتصرف.

[3] سورة الفاتحة، آية 7 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الباحثة أنه لا يوجد تعارض بين القول: بأنَّ غَضَبَ الله تعالى كان بسبب اليأس من رحمته سبحانه، وبين القول: بأنَّ الغَضَبَ من الله تعالى على هؤلاء اليهود، واليأس الحاصل منهم، يشكلان صفتان يحملهما ذلك الصنف من الناس.

وإنَّ القنوط من رحمة الله تعالى يوجب الغضب لا الرضا[1]؛ وإذا علم الله سبحانه وتعالى أن في قلب عبد من عباده يأساً وكفراً عند الامتحان بالبلاء، وفرحاً وفخراً عند الابتلاء بالنعماء، وغفلة عن الحمد والثناء على ربِّ الأرض والسماء، صاحب السراء والضراء؛ فإن ذلك من أعظم أسباب خذلانه، وتخليه عنه؛ فإن محله لا تناسبه النعم المطلقة التامة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[2]؛ فأخبر سبحانه أن محلهم غير قابل لنعمته، ومع عدم القبول ففيهم مانع آخر يمنع وصولها إليهم؛ وهو توليهم وإعراضهم إذا عرفوها وتحققوها[3].

المطلب الثاني: استحقاقهم العذاب الأليم

بعدما حكم الله سبحانه وتعالى على اليائسين من رحمته بالكفر والضلال، وبعد أن باؤوا بغضب من الله، استحقوا العذاب الأليم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4] ، "أي أولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى، ولقائه،

---

[1] انظر: الساعاتي، أحمد عبد الرحمن، (ت:1378هـ)، **بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني**، اعتنى به: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (ص: 3612) .

[2] سورة الأنفال، الآيتان (22،23).

[3] انظر: ابن القيم، **الفوائد**، (ص:206).

[4] سورة العنكبوت، آية 23.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وباليأس من رحمته، الممتازون بذلك عن سائر الكفرة؛ لهم بسبب تلك الأوصاف القبيحة عـذاب لا يُقَادَرُ قَدْرُهُ في الشدة والإيلام"[1].

فمن اتصف بالكفر بآيات الله ولقائه، وباليأس من رحمته سبحانه، كان له مـن العـذاب أشدُّه وأوجعُه، هذا ما يظهر من كلام أبي السعود.

ولكن الواضح من الآية الكريمة: أن المهلكة الأولى التي وقع فيها هذا الصنف من الناس هي: الكفر، وهذا يعني: التكذيب بآيات الله ولقائه، لذا كان المترتب على هذا الكفر: اليأس مـن رحمة الله التي من مظنة حصولها ذلك اللقاء.

إذن أصبح اليأس من رحمة الله تعالى متسبباً عن الكفر بآياته ولقائه، والجزاء المناسـب لمن كذب بآيات الله ولقائه، ويئس من رحمته عذاب أليم.

وترى الباحثة: أن هذا المعنى هو المستفاد من الآية الكريمة، ومـن ترتيـب، وتـدرُّج المراحل التي يمر بها هذا الصنف من الناس؛ حيث كان الكفر بآيات الله أولاً، ثم الكفر بلقائه، ثم عوقبوا باليأس والقنوط، فحُرِموا نعمة الرجاء برحمة الله ، وتعنتوا في مواقفهم وقناعاتهم، فلاقوا الله يوم القيامة كفاراً مشركين، فاستحقوا بذلك العذاب الأليم.

"ثم إن في الآية الكريمة فوائد: إحداها: قوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَيِسُواْ ﴾؛ حتى يكـون منبئـاً عن حصر الناس فيهم، وقال أيضاً: ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾؛ لذلك، ولو قال: أولئـك الذين كفروا بآيات الله ولقائه يئسوا من رحمتي ولهم عذاب أليم، ما كان يحصل هذه الفائدة، فإن قال قائل: لو اكتفي بقوله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ مرَّة واحدة كان يكفي في إفادة ما ذُكِر، ثم قلنا: لا؛ وذلك لأنه لو قال: أولئك يئسوا ولهم عذاب، كان يذهب وهْمُ أحد إلى أن هذا المجموع منحصر فـيهم،

[1] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (36/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلا يوجد المجموع إلا فيهم، ولكن واحداً منهما وحده يمكن أن يوجد في غيرهم، فإذا قال: أولئك يئسوا وأولئك لهم عذاب، أفاد أن كل واحد لا يوجد إلا فيهم..."[1].

ونقل السمعاني، والزمخشري، وابن عطية عن قتادة[2] قوله عند هذه الآية: "ذمَّ الله أقواما هانوا عليه، فقال: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، أي: موجع مؤلم"[3].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: "النجاة في اثنتين، والهلكة في اثنتين، النجاة في النية، والنهى[4]، والهلكة في القنوط والإعجاب"[5].

المطلب الثالث: معاقبتهم بنهي المؤمنين عن موالاتهم

الحصارُ والتضييقُ والحَجْرُ صُوَرٌ مؤلمةٌ شديدةُ الأثرِ على من يعاقب بمثل هذه العقوبات.

فإنَّ ما يترتب على من يحاصر، ويضيَّق عليه، ويحجر على التعامل معه، أمور في غاية الخطورة والشدة.

فمن تضييق الدائرة الاجتماعية، وقطع ما بينه وبين الناس، إلى قلة الناصر، إلى وقف الامتداد والتوسع فيما حوله من الدوائر الاقتصادية، إلى إشعاره بالغربة والعزلة، إلى خوفه ممن حوله، حيث لا يمكن له ضبط أو معرفة مشاعر الآخر وتفكيره تجاهه، إلى غير ذلك من صور الإرباك والتوتير.

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (45/25)، بتصرف.

[2] هو قتادة بن دعامة بن قتادة، أبو الخطاب السدوسي البصري، المفسر،(ت:118هـ)، قال أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير وباختلاط العلماء، ووصفه بالحفظ والفقه، [انظر: الذهبي، أبا عبد الله، محمد شمس الدين، (ت:748هـ)، **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، (122/1 -123)].

[3] انظر: السمعاني، **تفسير القرآن**، (175/4)، الزمخشري، **الكشاف**، (454/3)، ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (312/4).

[4] النهى: العقل، واحدتها: نهية بالضم، سميت بذلك؛ لأنها تنهى صاحبها عن القبيح، [انظر: ابن سيده، **المحكم**، (385/4)].

[5] وكيع، أبو سفيان، ابن الجراح بن مليح بن عدي الرؤاسي، (ت:197هـ)، **الزهد**، (بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر)، (398/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنهي عن الموالاة لصنف من الناس تشتمل على كل المعاني السابقة؛ حيث أن الموالاة هي: رباط يوفر الأمن النفسي، والاقتصادي، والاجتماعي لمن بينهم هذا الرباط، وقَطْعُهُ يؤدي بصورة تلقائية إلى إلغاء هذه الروابط.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾[1].

وقد بين الله سبحانه وتعالى سبب التنفير منهم في هذه الآية، وهو أنهم يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور[2]، ومعنى الآية: كيف توالون اليهود والنصارى، وسائر الكفار ممن غضب الله عليهم، ولعنهم، واستحقوا من الله الطرد والإبعاد، وتتخذونهم أصدقاء، وأخلاء، وقد يئسوا من الآخرة، أي: ثواب الآخرة، ونعيمها في حكم الله عز وجل[3].

فأي عقوبة أشدُّ على النفس من هذه العقوبة؛ حيث تُفرض على مجموعة من الناس فتُعتَبَرُ الدائرةَ الأصغرَ، والأضيقَ، في بحرٍ متلاطمٍ من الأمم؟!

---

[1] سورة الممتحنة، آية 13 .

[2] انظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**،(413/1).

[3] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (357/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

سبل الوقاية والعلاج من اليأس

المبحث الأول: الإيمان الصادق المتمثل بالصبر والعمل الصالح

المبحث الثاني: المحافظة على الصلوات في أوقاتها

المبحث الثالث: التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب

المبحث الرابع: التمسك بالرجاء والأمل المحمود

المبحث الخامس: الإيمان بالقضاء والقدر

المبحث السادس: حسن الظن بالله سبحانه وتعالى

المبحث السابع: الإكثار من الذكر والدعاء

المبحث الثامن: الاستجابة لأمر الله تعالى بالانتهاء عن اليأس والقنوط

المبحث التاسع: الإيمان بسعة رحمة الله تعالى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

اليأس نتيجةٌ صعبةٌ، وثمرةٌ نكِدَةٌ من ثمار الكفر المحض، والمعاصي بكافة أشكالها وصورها، وكذلك هو خَلْفٌ مرٌّ؛ لعدم القدرة على التعامل مع البلاء والابتلاء.

فالكافر بربه، المتمرِّد على النصوص، المخالف لشرع الله، المستكبر على الصراط المستقيم يمتلك أقوى مقوِّمات اليأس والقنوط والإحباط. وكذلك العاصي الذي لا يتضح عنده معنى الوقوف بين يدي ربه، والذي يغفل عن لحظة الحساب والثواب والعقاب يفقد كذلك أقوى ركائز الرجاء، والأمل برحمة الله وتجاوزه.

والذي يَضْعُفُ عند الابتلاء، ولا يُحسِن التعامل مع هذه السنة الربانية في التمحيص وتثبيت الإيمان، ولا يستقبل إرادة الله عز وجل بالصورة الراضية المرضيَّة، يتمرد في داخله الشرُّ والكبر؛ فتصاب عزيمته بالإعياء والنحول والوهن؛ فيُقذَفُ اليأسُ في قلبه، ويَفقِد التوازن أمام النائبات.

لذلك لا بدَّ من وقاية وعلاج حتى يجتاز الناس هذه المرحلة. لا بدَّ من وقاية مسبقة تعتبر أهم ركائزها مقومات إيمانية، وصلة بالله، وقضاء بقدره، وعبادة صادقة مبنية على العبودية الحقَّة التي تفتح قلب المسلم وذهنه، وتهيئ روحه لقبول كل ما يختاره الله له، ويُقَدِّرُه ُعليه، ولو أردتُ أن أفصِّل بعضاً مما أقول، لوضعت هذه المباحث التسعة على النحو الآتي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الإيمان الصادق المتمثل بالصبر والعمل الصالح

الإيمان بالله تعالى كان وما زال وسيبقى الجدار الصلب، والحصن المتين في مواجهة الظروف القاسية؛ من همٍّ وكرب وضيق، وسيبقى الرافد العذب الذي يمد النفس الإنسانية بسيول من الأمن والطمأنينة والسعادة.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

يقول سيد قطب: "فأما المؤمنون الموصولة قلوبهم بالله، النديّة أرواحهم بروْحه، الشاعرون بنفحاته المحيية الرخية، فإنهم لا ييأسون من روْح الله ولو أحاط بهم الكرب، واشتد بهم الضيق، وإن المؤمن لفي روح من ظلال إيمانه، وفي أنس من صلته بربه، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه، وهو في مضايق ومخانق الكروب"[2].

لذلك؛ فقد شكل الصحابة رضوان الله عليهم، جيلاً متماسكاً قوياً متفائلاً، لا تؤثر فيه الخطوب، ولا تُؤَيِّسُهُ الهموم والأحزان، بالرغم من كثرتها وشدتها؛ فولد إيمانهم القوي بالله، واعتصامهم به جل في علاه، الشعور لديهم بالأمن والأمان والطمأنينة والرجاء، فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

وما أبعد حال المسلمين اليوم عما كان عليه الصحب الكرام والتابعين وتابعيهم؛ فإن أقل الابتلاءات والمحن، تهز قلوبهم، وتهبط بنفوسهم -إلا من رحم ربي - فبسبب بعدهم عن مولاهم، وخالقهم؛ كان اليأس قريبهم وحليفهم.

---

[1] سورة النحل، آية 97 .

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (2026/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[1]، دليل على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه[2]؛ "فالمؤمن حقاً لا تقنطه المصائب، ولا الشدائد، من رحمة الله، وتفريجه لكربه"[3]، وصدق رسول صلى الله عليه وسلم حينما قال: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ؛ إن أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا له، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا له"[4].

يقول الغزالي: "فمن عرف الله لم يتصور أن يكون آمنا، ولا أن يكون آيسا"[5]، وآمناً : يعني يأمن مكر الله.

ويعظم الأمل، والرجاء في نفس المؤمن إذا كان إيمانه مقترناً بالصبر، والعمل الصالح، "والصبر، والعمل الصالح كذلك لا ينفعان إلا مع هداية وإيمان"[6]، فبعد أن بين الله سبحانه وتعالى حال الإنسان الكافر، عند مروره بظروف مختلفة من نعماء وضراء، وما يصدر منه من يأس وفرح وفخر، استثنى الله سبحانه وتعالى من هذا الصنف، الذين صبروا، وعملوا الصالحات، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[7].

---

[1] سورة يوسف، آية 87 .

[2] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص:404).

[3] المراغي، **تفسير المراغي**، (30/13).

[4] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، رقم(2999)،(2295/4).

[5] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (ت:505هـ)، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (20/4).

[6] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (154/3).

[7] سورة هود، الآيات: (9 -11).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد استثنى الله جلَّ ثناؤه من الإنسان، من وصف بهاتين الصفتين: الصبر، والعمل الصالح؛ فإنهم إن تأتهم شدة من الدنيا وعسرة فيها لم يثنهم ذلك عن طاعة الله، ولكنهم يصبرون لأمره وقضائه، وإن نالوا فيها رخاء وسعة، شكروه وأدوا حقوقه بما آتاهم منها[1].

يقول الآلوسي: "لما تضمن اليأس عدم الصبر، والكفران عدم الشكر، كان المستثنى من ذلك ضده ممن اتصف بالصبر، والشكر فلما قيل: (إلا الذين ... الخ)، كان بمنزلة: إلا الذين صبروا وشكروا، وذلك من صفات المؤمن؛ فكني بهما عنه"[2].

وما ذلك إلا لأن "الإيمان الجاد المتمثل بالعمل الصالح، هو الذي يعصم النفس البشرية من اليأس الكافر في الشدة، كما يعصمها من البطر الفاجر في الرخاء، وهو الذي يُقِيمُ القلب البشري على سواء في البأساء والنعماء، ويربطه بالله في حاليه، فلا يتهافت تحت مطارق البأساء، ولا يَتَنَفَّجْ[3] ويتعالى عندما تغمره النعماء، وكلا حالي المؤمن خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم"[4].

"فالمؤمن إذا ابتلي بمرض أو فقر، أو نحوه من الأعراض التي كل أحد عرضة لها، فإنه بإيمانه، وبما عنده من القناعة، والرضا بما قسم الله له، يكون قرير العين، لا يتطلب بقلبه أمراً لم يقدر له، ينظر إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه، وربما زادت بهجته وسروره وراحته على من هو متحصل على جميع المطالب الدنيوية، إذا لم يؤت القناعة...،وإذا حدثت أسباب الخوف، وألمت بالإنسان المزعجات، تجد صحيح الإيمان ثابت القلب، مطمئن النفس، متمكناً من تدبيره وتسييره لهذا الأمر الذي دهمه، بما في وسعه من فكر وقول وعمل، قد وَطَّنَ نفسه لهذا المزعج الملم، وهذه أحوال تريح الإنسان وتثبت فؤاده"[5].

---

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (8/12).

[2] الآلوسي، **روح المعاني**، (16/12).

[3] نَفَجَ وانْتَفَجَ وتَنَفَّجَ، يطلق على كل ما ارتفع، ورجل نَفَّاجٌ: إذا كان صاحبَ فَخْرٍ وكِبْر، [انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (382/381/2)].

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (1860/4).

[5] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **الوسائل المفيدة للحياة السعيدة**، مؤسسة النور، الرياض، طبعة سنة (1378هـ)، (ص:7)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد، فإن الإيمان الصادق المتمثل بالصبر، والعمل الصالح كفيل بأن يصلح بال المسلمين، ويفرج كروبهم وأحزانهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[1]، "فقوله تعالى: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾، إشارة إلى ما يثيب على الإيمان، وقوله: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، إشارة إلى ما يثيب على العمل الصالح"[2].

"وإصلاح البال، نعمة كبرى تلي نعمة الإيمان في القدر والقيمة والأثر، والتعبير يلقي ظلال الطمأنينة والراحة والثقة والرضا والسلام، ومتى صلح البال، استقام الشعور والتفكير، واطمأن القلب والضمير، وارتاحت المشاعر والأعصاب، ورضيت النفس، واستمتعت بالأمن والسلام، وماذا بعد هذا من نعمة أو متاع؟ ألا إنه الأفق المشرق الوضيء الرفاف"[3].

وللصبر دوره المتميز في إضفاء جو من الرضا، والسعادة، والطمأنينة، على قلب الإنسان، وروحه، يقول الدكتور جمال ماضي: "ونرى الإسلام يحضُّ على الصبر، حتى يشعر المسلم الذي يجتاز العقبات بالطمأنينة، وتحقيق الذات، والتغلب على الإحساس بالاكتئاب، إذا تمسك بهذه الأخلاقيات؛ تقوى الإرادة، ويزداد الشعور بالأمل والتفاؤل"[4].

---

[1] سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)، آية 2 .

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (34/28).

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، (3281/6).

[4] ماضي، جمال أبو العزائم، **القرآن والصحة النفسية، (تأملات في الآيات القرآنية المتعلقة بالصحة النفسية)**، (ط1/1414هـ/1994م)، (ص:93).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

المحافظة على الصلوات في أوقاتها

كان الحديث في المبحث السابق عن الإيمان المتمثل بالصبر والعمل الصالح، وسيلةً من وسائل علاج اليأس، والصلاة جزء من الإيمان، ولكن القرآن الكريم خصَّها بالذكر؛ لما لها من الأثر العلاجي المثمر والفعال؛ ففيها صلاح المجتمع، وبها يستنير البشر، وتسعد الإنسانية.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] .

وقد بدأ الله أولئك المستثنين وختمهم بالصلاة، ففي الآية الثانية والعشرين ورد قوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾، وفي الآية الرابعة والثلاثين ورد قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾، مما يفيد أن الصلاة أصل لكل خير، ومبدأ لهذا المذكور كله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾[2]؛ فهي عون على كل خير[3].

---

[1] سورة المعارج، الآيات، (19 -34).

[2] سورة البقرة، آية 45.

[3] انظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**، (269/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فـ"الاستعانة بالصلاة... أقرب إلى حصول المأمول، وإرجاع النفس إلى الله تعالى؛ لما لها من التأثير في الروح"[1]. "وكفى بالصلاة بركة في دلالتها على النجاة من هذا الوصف الموجب لأسباب النار"[2].

لذلك فقد أمر الله سبحانه وتعالى، نبيه الكريم بالصلاة والابتهال؛ لكي يحصل الفرج، وتتم النعمة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾[3]، وهذا هو "التوجيه الكريم لمواقع التيسير، وأسباب الانشراح، ومستودع الري، والزاد في الطريق الشاق الطويل"[4].

وهذا التوجيه الرباني يظهر واضحاً في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩ ﴾[5]، "وفي أمره صلى الله عليه وسلم بما ذُكر، إرشاد له إلى ما يكشف به الغم الذي يجده، كأنه قيل: افعل ذلك، يكشف عنك ربك الغم، والضيق الذي تجده في صدرك، ولمزيد الاعتناء بأمر الصلاة؛ جيء بالأمر بها كما ترى مغايراً للأمر السابق على هذا الوجه المخصوص؛ وفي ذلك من الترغيب فيها ما لا يخفى"[6].

وقد طبَّق الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأمر، وامتثل له، فكان صلى اللّه عليه وسلم إذا حَزَبَه أمر « اشتدّ عليه » فزع إلى الصلاة[7]،وتلا هذه الآية:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[8]

---

[1] رضا، محمد رشيد، (ت:1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم، الموسوم بـ(تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة سنة(1990م)، (250/1).

[2] البقاعي، **نظم الدرر**، (151/8).

[3] سورة الشرح، الآيتان (7،8).

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (3930/6).

[5] سورة الحجر، الآيات، (97 -99).

[6] الآلوسي، **روح المعاني**، (87/14).

[7] انظر: أبا داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، كتاب الصلاة، باب: وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل، رقم(1319)، (35/2)، ونص الحديث:(كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى)، قال الألباني: حسن، الألباني، محمد ناصر الدين، (ت: 1420هـ)، **الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي - بيروت، رقم(8832)، (ص:884).

[8] سورة البقرة، آية 153 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا غرابة في ذلك، فالصلاة وما فيها من حركات متناسقة؛ من ركوع، وسجود، وقيام، لها دور من ناحية نفسية في إزالة التوتر والقلق، يقول الدكتور جمال ماضي: "إن الوضوء يساعد جسمانياً على التغلب على أعراض التوتر؛ لذلك فإنه مهم قبل كل صلاة، كما أن الصلاة نفسها تؤدي إلى الراحة، وهدوء النفس، ولا شك أن الصلاة الجماعية في المسجد، والروح الجماعية التي تسود بين المسلمين، تساعد على التغلب على الشعور بالوحدة، وهو الشعور الذي يؤدي إلى الإحباط، والاكتئاب"[1].

وقد وَجَدَ النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام حلاوة هذا الشعور الناتج عن الصلاة؛ لذلك فقد كان يقول عليه الصلاة والسلام لبلال: "يا بلال: أقم الصلاة، أرحنا بها"[2]، وفي حديث آخر، قال عليه الصلاة والسلام: "حُبِّبَ إلي النساء، والطيب، وجُعِلَت قُرَّةُ عيني في الصلاة"[3].

فمن وجد في نفسه ضيقاً، وانقباضاً، فليهرع إلى الصلاة، ومن شعر بشيء من الإحباط واليأس، فليسارع إلى الوقوف بين يدي الله عز وجل، ولينا جي ربه، بإخلاص، وانكسار، وسيجد علاجاً ناجعاً، وسريعاً لما ينتابه من شعور سيّئ.

كيف لا، والصلاة صلة بين العبد وربه، وأصل لكل خير، ومنبع لكل سعادة، ومطهرة للذنوب والمعاصي التي تحول بين العبد وبين الشعور بالأمل والرجاء، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾[4].

---

[1] ماضي، جمال أبو العزائم، **القرآن والصحة النفسية**، (ص:93).

[2] أبو داود، **سنن أبي داود**، كتابا الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم(4985)، (296/4)، قال الألباني: صحيح، الألباني، **الجامع الصغير وزيادته**، رقم(13851)، (1386).

[3] النسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، **سنن النسائي(المجتبى)**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، (ط2/1406هـ/1986م)، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم(3940)، (61/7)، وهو حديث غريب من حديث جعفر عنه، تفرد به سيار بن خالد عنه، انظر: ابن القيسراني، أبا الفضل محمد بن طاهر،(ت: 507هـ)، **أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الدارقطني**، تحقيق: محمود حسن نصار، والسيد يوسف، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/1419هـ/1998م)، (23/2)، وقال الألباني: صحيح، الألباني، **الجامع الصغير وزيادته**، رقم(5409)، (ص:541).

[4] سورة العنكبوت، آية 45 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب

لما كان مَفادُ التوكل: سكون القلب إلى كفاية الله عزَّ وجلَّ، وتفويض الأمور إليه سبحانه، والاعتماد عليه؛ لعلمه وقدرته[1]؛ فقد شكل الالتزام به وتطبيقه والتمثُّل به، الملاذَ الآمن والحصن الحصين، أمام كل المخاوف والهموم والهزَّات التي تهدد حياة الإنسان المسلم، وتَحُدُّ من سعادته، فـ"من توكل على الله في كل المهمات، كفاه الله تعالى كل الملمات، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾[2،3].

يقول ابن عطية في تفسير هذه الآية: "فإن توكلت كفاك، وتعجلت الراحة والبركة، وإن لم تتوكل، وكَّلَكَ إلى عجزك وتسخطك"[4].

فالمؤمن المتوكل على الله تعالى، لا يقع بين أمواج الحيرة والاضطراب، ولا يجيب داعي اليأس؛ وذلك لأنه إذا همَّ أن ييئس من نفسه؛ بتقطع الأسباب، وتغليق الأبواب، وتغلب الأعداء، يتذكر أن الله تعالى وليه ووكيله، وأنه هو الذي بيده ملكوت كل شيء، وأنه هو الذي يُجير، ولا يُجار عليه، فتتجدد قوته، ويفرّ منه اليأس، ويتجدد عنه ما اخلولق[5] من البأس، فينصره الله تعالى بما يستفيد من الإيمان والذكرى والتوكل، وما يخذل به عدوه، ويلقي في قلبه من الرعب، وبغير ذلك من ضروب عنايته عز وجل، التي رآها كل متوكل من المؤمنين الكملة، مع سيد المتوكلين، محمد صلى الله عليه وسلم، أيام ضعفهم وقلتهم وفقرهم، وتآلب الناس كلهم عليهم[6].

---

[1] انظر: الجزائري، أبا بكر، جابر، **عقيدة المؤمن**، دار المنار، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) (ص:90)، بتصرف.

[2] سورة الطلاق، آية 3 .

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (17،117).

[4] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (324/5).

[5] اخلولق تعني: بلي ولان واستوى، واخلولق السحاب: استوى وارتفت جوانبه، وصار خليقاً للمطر، كأنه ملس تمليسا، [انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (88/10 -90)].

[6] انظر: رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، (230/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكي يؤتي هذا الخلق ثماره على النفس المؤمنة، يجب أن يكون مقترناً بالأخذ بالأسباب، وبالمقابل، فإنه لا يؤخذ بالأسباب بعيداً عن التوكل على الله.

ذلك لأن "الإنسان إذا توكل، ولم يستعد للأمر، ويأخذ له أهبته، بحسب سنة الله في الأسباب والمسببات، يقع في الحسرة والندم، عندما يَخِيبُ، ويفوته غرضه، فيكون ملوماً شرعاً وعقلاً،... وإذا هو استعدَّ، وأخذ بالأسباب واعتمد عليها غافلاً قلبه عن الله تعالى؛ فإنه يكون عرضة للجزع والهلع، إذا خاب سعيه، ولم ينل مراده،... وربما وقع في اليأس الذي لا مطمع معه في فلاح ولا نجاح"[1].

فها هو سيدنا يعقوب عليه السلام، يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى، ويفوض أمره إليه، بعدما فقد اثنين من أبنائه، وأصابه من الحزن ما أذهب بصره، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2]، وفي الوقت نفسه، يدعو أبناءه إلى البحث عن سيدنا يوسف وأخيه، وعدم اليأس من رحمة الله، قال تعالى حكاية عنه:﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾[3] ، "أي: احرصوا واجتهدوا على التفتيش عنهما،﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾، فإن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد، فيما رجاه، والإياس يوجب له التثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد، فضل الله وإحسانه ورحمته وروحه"[4].

وكما يقول الشاعر[5]:

لا تقعدن بكسر البيت مكتئباً يفنى زمانك بين اليأس والأمل

---

[1] رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار** (170/4).

[2] سورة يوسف، آية 86 .

[3] سورة يوسف، آية 87 .

[4] السعدي، **تيسير الكريم المنان**، (ص:404).

[5] هذه الأبيات من شعر الحكم بن أبي الصلت، انظر: ابن أبي الصلت، الحكم، **ديوان الحكم بن أبي الصلت**، (بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر)، (ص:192).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واحتل لنفسك في شيء تعيش به فإن أكثر عيش الناس بالحيل

ولا تقل إن رزقي سوف يدركني وإن قعدت فليس الرزق كالأجل

وقد ذكر أبو بكر الجزائري أن من ثمار التوكل: الشجاعة، واطمئنان النفس، والصبر، والتحمل، مع مضاء العزيمة، وهذا مما تهدي إليه الآية الكريمة في سورة يونس:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾[1]،[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾[3]، دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى تكفَّل بالكفاية التامة لمن توكل عليه حق التوكل، وتعهَّد بمنحه النعمة والطمأنينة والسعادة.

---

[1] سورة يونس، آية 71 .

[2] انظر: الجزائري، أبا بكر، جابر بن موسى، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، (ط5/1424هـ/2003م)، (494/2).

[3] سورة آل عمران، الآيتان، (173،174).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

التمسك بالرجاء والأمل المحمود

إنه من الطبيعي، ولكي يقف الإنسان في وجه اليأس، ويقاومه؛ أن يُحَفِّزَ نفسه، ويُعَوِّدَّها على التفاؤل، وتأمل المغفرة، والرحمة من الله تعالى، ولكن لا يوصله ذلك إلى القعود، وعدم المبالاة، وبالتالي الأمن من مكر الله؛ لأن الإنسان المسلم يجب أن يعيش بين الخوف والرجاء، ويوازن بينهما، فلا يُغَلِّب جانب الخوف بحيث يوصله إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، ولا يُغَلِّب جانب الرجاء بحيث يوصله إلى الأمن من مكر الله، وهذا ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به، حيث قال:﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1]، "أي ذوي خوف نظراً إلى قصور أعمالكم، وعدم استحقاقكم، وطمعٍ نظراً إلى سعة رحمته، ووفور فضله وإحسانه"[2].

ومن آيات الرجاء قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3].

يقول الشوكاني: "واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه؛ لاشتمالها على أعظم بشارة؛ فإنه أولاً: أضاف العباد إلى نفسه؛ لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي، والاستكثار من الذنوب، ثم عقَّب ذلك بالنهى عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهى عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى، وبفحوى الخطاب، ثم جاء بما لا يبقى بعده شك، ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾، فالألف واللام قد صيَّرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده فهو في قوة: إن الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان، إلا ما أخرجه النص

---

[1] سورة الأعراف، آية 56 .

[2] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (233/3).

[3] سورة الزمر، آية 53 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآني وهو الشرك:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] ، ثم لم يكتفِ بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب؛ بل أكَّد ذلك بقوله: ﴿ جَمِيعًا ﴾، فيالها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم، الصادقين في رجائه، الخالعين لثياب القنوط، الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته، ورحمته على عباده، المتوجهين إليه في طلب العفو، الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم، وما أحسن ما علَّلَ سبحانه به هذا الكلام قائلا: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، أي: كثير المغفرة والرحمة، عظيمهما، بليغهما، واسعهما"[2].

والنهي عن القنوط نقيضه الأمر بالرجاء، ففي هذه الآية دعوة للعصاة المسرفين، المبعدين في تيه الضلال، إلى لأمل والرجاء، والثقة بعفو الله، فالله سبحانه وتعالى يعلم ضعفهم وعجزهم، ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد، وأنه قد ركبت في كيانهم ميول وشهوات سرعان ما تحرف بهم عن التوازن، وتوقعهم في المعصية[3].

فالرجاء هو العلاج الشافي، والمخلص المثالي مما يعانيه الإنسان من يأس وأوهام، وأحزان، يقول ابن قدامة: "اعلم أن دواء الرجاء يحتاج إليه رجلان: إما رجل قد غلب عليه اليأس حتى ترك العبادة، وإما رجل غلب عليه الخوف حتى أضرَّ بنفسه وأهله"[4].

"والإسلام يشجع المسلمين على التفاؤل، ويرغبهم به؛ لأنه عنصر نفسي طيب، وهو من ثمرات قوة الإرادة، ومن فوائده: أنه يشحذ الهمم إلى العمل، ويغذي القلب بالطمأنينة والأمل؛... لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل، ويكره التشاؤم؛ فالتفاؤل من الوجوه الباسمة المشرقة، والتشاؤم من الوجوه الكالحة القاتمة"[5].

---

[1] سورة النساء، آية 48 .

[2] الشوكاني، **فتح القدير**، (470/4).

[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (3058/5).

[4] ابن قدامة، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، (ت:682هـ)، **مختصر منهاج القاصدين**، خرَّج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله الليثي الأنصاري، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة(1408هـ/1987م)، (ص:285).

[5] الميداني، **الأخلاق الإسلامية**، (163/2)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الطغرائي في لاميته المشهورة:

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل[1]

وفي أسلوب القرآن الكريم ما يرفع مستويات الأمل والرجاء لدى الإنسان المؤمن، ويبعث فيه روح التفاؤل، ويقوي فيه العزيمة، مثلاً في قوله تعالى:﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾[2]، قدم الضحى - وهو ساعة من النهار - على الليل كله؛ حتى لا يحصل اليأس من روحه، ثم عقَّبه بالليل؛ حتى لا يحصل الأمن من مكره[3].

وعندما يُتلى على مسامع الإنسان قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾[4]، يقع في نفسه أنه خارج إطار هذه المنحة، وهذا الاصطفاء؛ لأنه يَعُدُّ نفسه من الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي والذنوب، ولكنه عندما يسمع تتمة الآية، يفرح ويستبشر، ويزول ما كان يعتقده، ويظنه: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[5].

يقول البقاعي: "ولما كان أكثر الناس لا ينفك عن تقصير كثير؛ لما جبل الإنسان عليه من النقصان، فكان من فيه ذلك، يخرج نفسه من هذا القسم، قال معرِّفاً به بمقداره، مؤنساً له بما فتح له من أنواره، مستجلباً له إلى حضرة قدسه، ومعدن أسراره، مقسماً أهل هذا القسم - وهم

---

[1] الطغرائي، أبو إسماعيل، الحسين بن علي، (ت:513هـ)، **ديوان الطغرائي**، مطبعة الجوائب - القسطنطينية، (ط1/1300هـ)، (ص:55).

[2] سورة الضحى، الآيتان (1،2).

[3] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (31/189 -190).

[4] سورة فاطر، آية 32 .

[5] سورة فاطر، آية 32 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهل الفهم - إلى ثلاثة أقسام، مقدماً الأدنى؛ لأنهم الأكثر، ولئلا يحصل اليأس، ويصدع القلــوب خوف البأس"[1].

وفي قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝ ﴾[2]، تأكيد للوعد، وتعظيم للرجاء، وهذا ما أفاده التكرار[3]، فبعد أن ذكَّرَ الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليــه وسلم بما أنعم عليه من جلائل النعم، مثل انشراح الصدر ورفع الذكر، قال عز من قائل:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾، كأنه قال: خوّلناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله، فإن مع العسر الــذي أنتم فيه يسراً[4].

فالتمسك بالرجاء أمر محمود، ندب إليه الإسلام، وحبب فيه، يقول التســتري:" أفضــل الخدمة وأعلاها، انتظار الفرج من اللّه تعالى"[5].

فمهما طال ليل الشدة، وتعاظم زمن البلاء، واشتد الأمر على الإنسان، فإنه لا بد من يومٍ تطلع فيه شمس الفرج، وينقشع فيه ضباب اليأس، يقول علي رضي الله عنه:

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب

وأوطنت المكــاره واســتقرت وأرست في أماكنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ولا أغنى بحيلتــه الأريــب

أتاك على قنــوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيــب

وكل الحادثــات إذا تناهــت فموصول بها فرج قريــب[6]

---

[1] البقاعي، **نظم الدرر**، (225/6).

[2] سورة الشرح، الآيتان، (5،6).

[3] انظر: البغوي، **معالم التنزيل**، (502/4).

[4] انظر: الزمخشري، **الكشاف**، (776/4).

[5] التستري، أبو محمد، سهل بن عبد الله، **تفسير التستري**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ــ بيروت، (ط1/1423هــ)، (ص:83).

[6] علي بن أبي طالب، **ديوان علي**، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، (ط1/1409هــ/1988م)، (ص:12).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس

الإيمان بالقضاء والقدر

إن للإيمان بالقضاء والقدر، والرضا به، نتائجه الإيجابية على الإنسان المسلم؛ فهو أصل سعادة الإنسان، ومنبع راحته؛ ذلك لأن الإنسان إذا ما تأمل في مدلولات هذه العقيدة، واستشعر معناها، وتعمق في فهمها وتطبيقها، لن تضره -بإذن الله- الابتلاءات والمحن، ولن ينتابه الهمُّ والقلق، ولن يخسر راحة البال، وطمأنينة النفس؛ لأنه يعلم أن ما حصل كان بعلم الله، وتقديره، وأن ما سيحصل هو أيضاً مقدر ومكتوب عند الله تعالى، فيعيش قرير العين، مطمئن البال، يحدوه الأمل والرجاء.

وقد ذكر الجزائري أن من ثمرات الرضا بالقضاء، ومن نتائجه السارة: "أنه يكسب صاحبه قوة الشكيمة، ومضاء العزيمة؛ إذ من اطمأنت نفسه إلى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، خلت جميع أعماله من الحيرة، والتردد، وانتفى من حياته القلق، والاضطراب؛ لأنه بمجرد ما يترجح لديه الإقدام على أمر ما، قدم عليه في غير ما خوف، ولا رهبة، ولا تردد، ومن هنا فإنه لا يحزن على ماضٍ، ولا يغتم لحاضر، ولا يؤلمه هم المستقبل، وبذلك يكون أسعد الناس حالاً، وأطيبهم نفساً، وأصلحهم بالاً"[1].

وكيف يتمكن اليأس من قلب مؤمن موحد بالله، وهو يطالع قول الله عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾[2]، "وقيمة هذه الحقيقة في النفس البشرية، أن تسكب فيها السكون، والطمأنينة عند استقبال الأحداث خيرها وشرها، فلا تجزع الجزع الذي تطير به

[1] الجزائري، **عقيدة المؤمن**، (ص:348).

[2] سورة الحديد، الآيتان، (22،23).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شعاعاً، وتذهب معه حسرات عند الضراء، ولا تفرح الفرح الذي تستطار به، وتفقد الاتزان عند السراء"[1].

فإذا علم الإنسان أن كل شيء مقدر مكتوب عند الله تعالى، قل أساه على الفائت، وفرحه على الآتي، والمقصود بالأسى هنا: الحزن الذي يخرج صاحبه عن الصبر، والتسليم لأمر الله، ورجاء ثواب الصابرين، أما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه، مع الاستسلام، والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر، فلا بأس به[2].

"ومما لا شك فيه أن هذه الصفات قد تَجلَّت واضحة في هذه الأمة، أمة الإسلام، أيام كانت عقيدة القضاء والقدر، واضحة في نفوسهم، قوية في قلوبهم، فقد فاقوا الناس شجاعة وكرماً، وصبراً وحلماً، ومعرفة وعلماً؛ الأمر الذي تمكنوا به من سيادة العالم، وقيادته مدة من الزمن، طويلة غير قصيرة"[3].

وقد طمأن الله سبحانه وتعالى الناس على رزقهم، وقوت يومهم، وأنه مقدر ومحفوظ في السماء، قال تعالى:﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[4]، وفي قوله تعالى:﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾[5]، وبعد أن وصف الله سبحانه وتعالى الناس بالفرح، والبطر عند حصول النعمة لهم، وبالقنوط واليأس عند حصول النقمة، "نبههم إلى ما يطرد اليأس، والقنوط، فقال:﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[6]، أي ألم يعلموا، ويشاهدوا، أن اللّه يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحاناً، بغض النظر عن وجود صفة الكفر، ويضيق

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (3493/6)، بتصرف.

[2] انظر: الزمخشري، **الكشاف**، (477/4).

[3] الجزائري، **عقيدة المؤمن**، (ص:348).

[4] سورة الذاريات، آية 22 .

[5] سورة الروم، آية 36 .

[6] سورة الروم، آية 37 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرزق على من يشاء ابتلاءً، ولو مع وجود الإيمان وصالح الأعمال، فاللّه هو المتصرف الفاعل للأمرين بحكمته وعدله، يُوسِّعُ على قوم، ويُضَيِّقُ على آخرين، دون نظر إلى صفتي الإيمان والكفر؛ لأن الدنيا لا تساوي عند اللّه جناح بعوضة، والمؤمن هو الراضي بقضاء اللّه وقدره، ولا ييأس من رحمة اللّه، فإنه لا ييأس من روح اللّه إلا القوم الكافرون"[1].

"فقد ذكر تعالى –في هذه الآية- الأمر الذي من اعتبره، لم ييأس من روح الله على حال، وهو أن الله تعالى يخصُّ من يشاء من عباده ببسط الرزق، ويقدر على من شاء منهم، فينبغي لكل عبد أن يكون راجيا ما عند ربه"[2].

وبعد، فإن الإيمان بالقضاء والقدر، متى فهم على الوجه الصحيح، وتعمقت جذوره في النفس الإنسانية، فإنه يلقي بظلال عقيدة راسخة راقية، وهي أن ما أصاب الإنسان من نعماء أو ضراء، لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه من هذه الأمور، لم يكن ليصيبه، فيمضي في حياته مطمئن النفس، مرتاح البال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موجهاً حديثه لابن عباس: "يا غُلَامُ: إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لم يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله لك، وَلَوْ اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لم يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"[3].

---

[1] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير**، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة (1418هـ)، (90،21).

[2] ابن عطية، **المحرر الوجيز**،(338/4)، بتصرف.

[3] الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى السلمي، (ت:279هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب(59)، رقم(2516)، (667/4)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السادس

حسن الظن بالله سبحانه وتعالى

الجزاء من جنس العمل؛ فكما أن الإنسان الذي وقع في نفسه، أن الله شديد العقاب فقط، وأنه لن يغفر له، ولن يسامحه، يكون مصيره من جنس ظنه، ويتحقق ما كان يعتقده، ويصر عليه، فإن الإنسان الذي ظن أن الله سبحانه وتعالى سيرحمه، ويغفر له، سيختصر على نفسه طريقاً شاقاً محاطاً بأشواك اليأس والقنوط، وسيحظى برضا الله، ورحمته، وبسعادة لا حد لها بإذن الله تعالى.

يقول الله سبحانه في الحديث القدسي: "أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأنا معه إذا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي في ملأ، ذَكَرْتُهُ في ملأ خَيْرٍ منهم، وَإِنْ تَقَرَّبَ إلي شبرا، تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إلي ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إليه بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"[1]، وقد رجح النووي أن يكون المراد من حسن الظن بالله في هذا الحديث هو:الرجاء، وتأميل العفو[2].

ففي حسن الظن بالله، علاج لكل هم وضيق، ويأس، وراحة للروح، والقلب، والنفس، فمن حسن ظنه بالله، عاش متفائلاً، مقبلاً على فعل الخير، ومن ساء ظنه بالله، عاش متشائماً مدبراً عن كل خير، "وقد قيل: قتل القنوط صاحبه، وفي حسن الظن بالله راحة القلوب"[3].

وما ذلك إلا لأن "القلب المؤمن، حسن الظن بربه، يتوقع منه الخير دائماً، يتوقع منه الخير في السراء والضراء، ويؤمن بأن الله يريد به الخير في الحالين، وسر ذلك أن قلبه موصول بالله"[4].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾، رقم (6970)، (2694/6).

[2] النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**، (2/17).

[3] الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد، (ت:450هـ)، **أدب الدنيا والدين**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان - المنصورة، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (ص:227).

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (3319/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ضرب لنا سيدنا يعقوب عليه السلام، أروع مثال في حسن الظن بالله، وعدم اليأس من روحه جل في علاه، وذلك في محنته التي مر بها، وهي فقده لاثنين من أبنائه، وهي محنة شديدة، جديرة بأن توقع صاحبها في وحل اليأس والقنوط -إلا من عصم ربي - قال تعالى حكاية عنه:﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1].

وها هو زكريا عليه السلام، يدعو ربه سبحانه وتعالى دعاء المحسن ظنه بالله، في جو حرج يطل عليه اليأس فيه من كل باب، فلا يمنعه كبر سنه، وكون امرأته عاقراً، من التعلق بحبال الأمل، والرجاء، ومن الدعاء والاستغاثة برب الأرباب، يقول الله سبحانه وتعالى حكاية عنه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ ﴾[2]، ففي قوله:﴿ وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴾، يتجلى حسن ظنه بالله تعالى، "أي لم أكن بدعائي إياك خائبا في وقت من أوقات هذا العمر الطويل، بل كلما دعوتُك استجبتَ لي"[3].

"وكلما كان العبد حسن الظن بالله، حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه؛ فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة، فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل"[4].

---

[1] سورة يوسف، آية 83 .

[2] سورة مريم، الآيات (4-6).

[3] الآلوسي، **روح المعاني**، (60/16).

[4] انظر: ابن القيم، أبا عبد الله، محمد بن أبي بكر (أيوب) الزرعي، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، (ط2/1393هـ/1973م)، (1/469-471).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السابع

الإكثار من الدعاء وذكر الله

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، يقول الشيخ المراغي: "ودعاء المولى حين الشعور بالعجز، والافتقار إليه، مما يقوّي الأمل بالإجابة، ويحول بينها وبين اليأس إذا تقطعت الأسباب، وجهلت وسائل النجاح"[2]،"ولو لم يكن للدعاء فائدة إلا هذا لكفى، فكيف وهو مخ العبادة، ولبابها، وإجابته مرجوة بعد استكمال شروطه، وآدابه، وأولها: عدم الاعتداء فيه، فإن لم تكن بإعطاء الداعي ما طلبه، كانت بما يعلم الله أنه خير له منه"[3].

وقد تكفل الله سبحانه وتعالى، بإجابة دعوة المضطر، والملهوف، وتحقيق مبتغاه، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[4]، "فالمضطر في لحظات الكربة، والضيق، لا يجد له ملجأ إلا الله، يدعوه؛ ليكشف عنه الضر، والسوء، ذلك حين تضيق الحلقة، وتشتد الخنقة، وتتخاذل القوى،... وينظر الإنسان حواليه، فيجد نفسه مجرداً من وسائل النصرة، وأسباب الخلاص، لا قوته، ولا قوة في الأرض تنجده،...في هذه اللحظة تستيقظ الفطرة، فتلجأ إلى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة، ويتجه الإنسان إلى الله، ولو كان قد نسيه من قبل في ساعات الرخاء، فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه،... يجيبه ويكشف عنه السوء، ويرده إلى الأمن والسلامة، وينجيه من الضيقة الآخذة بالخناق"[5].

---

[1] سورة الأعراف، آية 56 .

[2] المراغي، **تفسير المراغي**، (179/8).

[3] رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، (410/8).

[4] سورة النمل، آية 62 .

[5] قطب، **في ظلال القرآن**، (2658/5)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى إن الله سبحانه وتعالى حين يجيب المضطر والمكروب يبدأ بكشف السوء، وإزالة الهم والغم، ثم يُثَنِّي بجلب المنافع والمسارِّ، وهذا من فضل الله سبحانه على عباده، ومن رحمته بهم، يقول البقاعي: "ولما كانت الإجابة ذات شقين، جلب السرور، ودفع الشرور، وكان النظر إلى الثاني أشد، خصه بادئاً به فقال: ﴿ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾"[1].

والدعاء بحد ذاته، واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، واستشعار القرب منه جل في علاه، دون النظر إلى تحقيق الإجابة، مريح للقلب، مطمئن للنفس، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[2]، ففي هذه الآية ما فيها من الارتقاء بالنفس المؤمنة، وطمأنتها، وإراحتها من كل همٍّ، وغمٍّ، وضيق.

وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديثاً يزيل الهم والحزن، قال عليه الصلاة والسلام: "ما أَصَابَ أَحَداً قَطُّ، هَمٌّ، وَلاَ حَزَنٌ فقال: اللهم إني عَبْدُكَ بن عبدك بن أَمَتِكَ ناصيتي بِيَدِكَ، مَاضٍ في حُكْمُكَ، عَدْلٌ في قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هو لك، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أو عَلَّمْتَهُ أَحَداً من خَلْقِكَ، أو أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قلبي، وَنُورَ صدري، وَجَلاَءَ حزني، وَذَهَابَ همي، إِلاَّ أَذْهَبَ الله هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجاً"[3].

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم المأثور: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ"[4].

---

[1] البقاعي، **نظم الدرر**، (439/5).

[2] سورة البقرة، آية 186 .

[3] ابن حنبل، أحمد، (ت:241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة - مصر، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، رقم(3712)، (391/1).، قال الألباني في السلسلة الصحيحة: رواه أحمد وهو صحيح، الألباني، محمد ناصر الدين، **السلسلة الصحيحة**، مكتبة المعارف - الرياض، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (383/1).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل، رقم (6008)، (2342/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويَعرِضُ القرآن الكريم لنا صورة نفسية حرجة، وجواً مشحوناً بالكَدَرِ، والضيق، واليأس، لهؤلاء النفر الثلاثة[1] الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فعاشوا مرحلة قاسية مؤلمة، كان المخرج الوحيد منها هو الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، والتمسك بحماه، قال تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2] .

فقد ضاقت على هؤلاء الأرض بسعتها، غماً، وندماً، على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضاقت عليهم أنفسهم بما نالهم من الوجد والكرب بذلك[3]، " فكأنما هي وعاء لهم تضيق بهم، ولا تسعهم، وتضغطهم، فتتكرب أنفاسهم"[4]، وفي الآية دلالة على أن الهم والغم ملأ أنفسهم، بحيث لا يسعها أنس، ولا سرور[5].

يقول سيد قطب تحت قوله تعالى:﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ﴾: "ولكن ذِكْرُ هذه الحقيقة هنا في هذا الجو المكروب، يخلع على المشهد ظلاً من الكربة، واليأس، والضيق، لا مخرج منه؛ إلا بالالتجاء إلى الله مفرج الكروب"[6].

ولقد نجَّى الله سبحانه وتعالى نبيه يونس عليه السلام، من الشدة التي وقع بها، وخلَّصه من بطن الحوت، بعد أن توجه سيدنا يونس بالدعاء والابتهال للمولى عز وجل، وقال:﴿ لَّآ إِلَٰهَ

---

[1] هؤلاء هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وهم الذين نزل فيهم قول الله تعالى:﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾، التوبة، آية 106، [انظر: الواحدي، أبا الحسن، علي بن أحمد بن محمد، (ت: 468هـ)، **أسباب النزول**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1411/1هـ/1991م) (ص:175)].

[2] سورة التوبة، آية 118 .

[3] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (56/11).

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (1732/3),

[5] انظر: أبا حيان، **البحر المحيط**، (112/5).

[6] قطب، **في ظلال القرآن**، (1732/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، ومن ثم تكفل الله سبحانه وتعالى بإنجاء المؤمنين السائرين على هذا الدرب، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2]، يقول السعدي: "وهذا وعد وبشارة، لكل مؤمن وقع في شدة وغم، أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه ويخفف؛ لإيمانه، كما فعل بـ(يونس) عليه السلام"[3].

وأما الذكر، فإن له شأن عظيم، وأهمية كبيرة، ودور مميز في إزالة آثار الهم، والضيق، واليأس، التي تعتري النفس الإنسانية، فقد أعطى الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، الدواء الشافي الذي يمسح عن صدره الضيق، وهو التسبيح بحمد الله، وكثرة الصلاة، والسجود له سبحانه، والقيام بعبادة الرب، مع الاستمرار في ذلك، قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[4،5].

وقال له في موضع آخر:﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾[6]، "أي: اذكر الله في هذه الأوقات، طمعاً، ورجاءَ أن تنال عند الله، ما به ترضي نفسك، ويُسْرَ قلبك"[7].

---

[1] سورة الأنبياء، آية 87 .

[2] سورة الأنبياء، آية 88 .

[3] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص:530).

[4] سورة الحجر، الآيات، (97 -99).

[5] انظر: الميداني، **الأخلاق الإسلامية**، (483/1).

[6] سورة طه، آية 130 .

[7] الزمخشري، **الكشاف**، (97/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فـ"التسبيح بالله اتصال، والنفس التي تتصل، تطمئن وترضى، ترضى وهي في ذلك الجوار الرضي، وتطمئن وهي في ذلك الحمى الآمن، والرضا ثمرة التسبيح والعبادة، وهو وحده جزاء حاضر، ينبت من داخل النفس، ويترعرع في حنايا القلب"[1].

وبالمقابل، فإن من كان في غفلةٍ عن الله، وإعراضٍ عن ذكره سبحانه؛ فإنه سيجازى بضنك العيش، والحيرة، والقلق، قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[2]، والضنك أصله: الضيق، والشدة، وهذا الضيق المتوعد به، إما أن يكون في الدنيا، أو في القبر، أو في الآخرة، أو في الدين، أو في كل ذلك أو أكثره[3].

"وقد قال بعض الصوفية: لا يُعرض أحد عن ذكر الله، إلا أظلم عليه وقته، وتكدر عليه عيشه"[4].

ومن الآيات الدالة على أن ذكر الله يورث السعادة، والرضا، وطمأنينة النفس، قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[5]، "أي ألا بذكر اللّه وحده تطمئن قلوب المؤمنين، ويزول القلق، والاضطراب من خشيته؛ بما يفيضه عليها من نور الإيمان، الذي يذهب الهلع والوحشة، وهى بمعنى قوله في الآية الأخرى: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[6،7].

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (2357/4).

[2] سورة طه، آية 124 .

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (112/22).

[4] الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (20/3).

[5] سورة الرعد، آية 28 .

[6] سورة الزمر، آية 23 .

[7] المراغي، **تفسير المراغي**، (100/13).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثامن

الاستجابة لأمر الله تعالى بالانتهاء عن اليأس والقنوط

لقد كان من منهج القرآن الكريم في علاج اليأس، النهي عن فعله، والتحذير من الوقوع فيه، وكان ذلك في أكثر من آية في القرآن الكريم، والإنسان المسلم بدوره يستجيب لهذا الأمر الإلهي؛ لكي يتسنى له التغلب على الشعور باليأس، ومحو شروره التي تحيط به، ومن هذه الآيات ما جاء فيها النهي عن اليأس والقنوط مباشراً صريحاً، ومنها ما جاء فيها النهي بصورة غير مباشرة، ولكن المعنى المأخوذ من هذه الآيات كان واضحاً جلياً.

ومن الآيات التي كان النهي عن اليأس فيها صريحاً، قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]، "أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا، وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها، ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرِّين على العصيان، متزودين بما يغضب عليكم الرحمن"[2].

ومنها قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب:﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[3].

وقد نهى الله سبحانه وتعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام عن اليأس والقنوط، في قوله تعالى:﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[4]،

---

[1] سورة الزمر، آية 53 .

[2] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص:727).

[3] سورة يوسف، آية 87 .

[4] سورة الحجر، الآيات، (51 -55).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا النهي لا يعني أن سيدنا إبراهيم كان قانطاً، بدليل أنه صرح في جوابهم بما يدل على أنه ليس كذلك،فقال:﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[1،2]، ولكن في هذا النهي درس، وتوجيه للمسلمين عامة لكي لا يقنطوا من رحمة الله، مهما اشتد بهم البلاء، وكثر الحرمان.

وجاء النهي بصورة غير مباشرة في قوله تعالى:﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[3]، فالإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله، هذا ما قاله: محمد بن سيرين[4]، وعبيدة السلماني[5]، وقال أبو قلابة[6]: هو الرجل يصيب الذنب، فيقول: قد هلكت ليس لي توبة، فييأس من رحمة الله، وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك[7]، وما هذا إلا "لأن الآيس من رحمة الله لذنب سلف منه، ملق بيديه إلى التهلكة"[8].

وقال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[9]، أي: محسنون بربكم الظن، كما قال الفضيل[10]،[11].

---

[1] سورة الحجر، آية 55 .

[2] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (156/19).

[3] سورة البقرة، آية 195 .

[4] هو أبو بكر، محمد بن سيرين البصري،(ت:110هـ)، كان أبوه عبداً لأنس بن مالك رضي الله عنه، وهو أحد الفقهاء من أهل البصرة، والمذكور بالوَرَعِ في وقته، [انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، (181/4 -182)].

[5] هوعبيدة بن عمرو السلماني، المرادي، الكوفى، الفقيه، (ت:72هـ)، كاد أن يكون صحابيا، أسلم زمن فتح مكة باليمن، وأخذ عن علي، وابن مسعود، قال الشعبي: كان يوازى شريحاً في القضاء، [انظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، (50/1)].

[6] هو عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي، (ت:104هـ)، عالم بالقضاء والأحكام، ناسك، من أهل البصرة،.أرادوه على القضاء. فهرب إلى الشام، فمات فيها، وكان من رجال الحديث الثقات، [الزركلي، **الأعلام**، (88/4)].

[7] انظر: البغوي، **معالم التنزيل**، (165/1).

[8] الطبري، **جامع البيان**، (205/2).

[9] سورة آل عمران، آية 102 .

[10] هو الإمام القدوة شيخ الإسلام، أبو علي التميمي، اليربوعي، المروزي، شيخ الحرم، (ت:187هـ)، كان ثقة كبير الشأن، كثير الحديث، روى عنه الشافعي، وخلق كثير، [انظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، (245/1 -246)].

[11] الثعالبي، **الجواهر الحسان**، (281/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه وصية إبراهيم عليه السلام لأبنائه، قال تعالى:﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1]، "ويتضمن هذا النهي، إرشاد من كان منحرفاً عن الإسلام إلى عدم اليأس، وأن يبادر بالرجوع إليه والاعتصام بحبله؛ لئلا يموت على غيره"[2].

"وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل موته بثلاثة أيام يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل"[3]، "أي: لا يموتن أحدكم في حال من الأحوال، إلا في هذه الحالة، وهي حسن الظن بالله تعالى، بأن يظن أنه يرحمه، ويعفو عنه؛ لأنه إذا حضر أجله، وأتت رحلته، لم يبق لخوفه معنى؛ بل يؤدي إلى القنوط، وهو تضييق لمجاري الرحمة، والإفضال، ومن ثم كان من الكبائر القلبية، فحسن الظن، وعظم الرجاء، أحسن ما تزوده المؤمن لقدومه على ربه"[4]، "قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة"[5].

وفي قوله تعالى ذكره:﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[6]، "تعزية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ على ما أصابهم من الجراح، والقتل بأُحُد، ودعوة لهم إلى عدم اليأس والجزع، فقد أخرج الطبري عن الزهري قوله:"كَثُرَ في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم القتل والجراح، حتى خلص إلى كل امرئ منهم اليأس؛ فأنزل الله عز وجل القرآن فآسى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قوما من المسلمين كانوا قبلهم

---

[1] سورة البقرة، آية 132 .

[2] رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، (391/1).

[3] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، رقم (2877)، (4،2206).

[4] المناوي، **فيض القدير**، (455/6).

[5] النميسي، محمد عبد الحميد، وذلك في تحقيقه لكلام المقريزي، تقي الدين، أحمد بن علي، (ت:845هـ)، **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/1420هـ/1999م)، (495/14).

[6] سورة آل عمران، آية 139 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الأمم الماضية، فقال:﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1]، إلى قوله:﴿ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ ﴾[2][3].

وقد نهى الله سبحانه وتعالى سيدنا نوح عليه السلام، عن اليأس والحزن، على صنيع قومه، وعدائهم، قال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[4]، أي: "لا تيأس ولا تحزن"[5].

وبعد، فإن في أسلوب القرآن الكريم هذا - وهو أسلوب النهي عن اليأس - رادع فعال، ووسيلة ناجعة، للحد من الوقوع في اليأس، وإن في استجابة المؤمن لهذا الأسلوب، وهذه الوسيلة، خير دواء، وخير علاج لأعراض مرض اليأس، وشروره.

---

[1] سورة آل عمران، آية 139 .

[2] سورة آل عمران، آية 154 .

[3] الطبري، **جامع البيان**، (102/4).

[4] سورة هود، آية 36 .

[5] الصنعاني، **تفسير القرآن**، (304/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث التاسع

الإيمان بسعة رحمة الله تعالى

إن من فضل الله تعالى على عباده، ورحمته بهم، أن جعل باب التوبة مفتوح للمذنبين والعصاة، وحتى الكفار، إذا هم ندموا على ما فرَّطوا في جنب الله، وشعروا بالتقصير والحاجة للإنابة، والرجوع إلى الله، والناظر في القرآن الكريم، يجد الكثير من الآيات التي تبين سعة رحمة الله تعالى، وعظيم فضله وكرمه، ويدخل في إطار سعة رحمة الله تعالى، الآيات التي اقترنت فيها المغفرة مع العقوبة، أو الرحمة مع العقوبة، فالمذنب الذي أسرف على نفسه، عندما يطالع مثل هذه الآيات، ويؤمن بسعة رحمته تعالى؛ فإنه ينفض عن نفسه غبار اليأس، ويفتح لها أبواباً من الأمل والرجاء.

ومن الآيات الدالة على سعة رحمة الله، والتي تبعث الأمل في نفوس العباد، وتُبعد اليأس عنهم، قول المولى عز وجل:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[1]، "فجاء الاعتراض بين المعطوف، والمعطوف عليه، وهو: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، تصويباً للتائبين، وتطييباً لقلوبهم، وبشارة لهم؛ بوصف ذاته بسعة الرحمة، وقرب المغفرة، وإجلالاً لهم، وإعلاءً لقدرهم؛ بأنهم علموا أن لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه، وأن من كرمه: التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له، وأن العبد إذا التجأ إليه في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه، عفا عنه، وتجاوز عن الذنوب - وإن جلَّت - فإن عفوه أجلُّ، وكرمه أعظم، وتحريضاً للعباد على التوبة، وبعثاً عليها وعلى الرجاء، وردعاً عن اليأس والقنوط"[2]،

---

[1] سورة آل عمران، آية 135 .

[2] حقي، إسماعيل بن مصطفى، (ت:1127هـ)، **تفسير روح البيان**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)، (78/2)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و"في ضمن معنى الاستغراق: قلع اليأس والقنوط؛ ولهذا علل سبحانه النهي في قولـــه تعـــالى: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾[1]، بقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾[2،3].

وقد "فتح الله باب الأمل، ومنع اليأس بقوله جل في علاه:﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[4] أي: إن رحمة اللّه وسعت كل شيء، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها، كما قال تعـــالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[5،6]، وفي هذا "ما يدفع اليأس عن صاحب الكبيرة في غفران ذنبه"[7].

وفي قولـــه تعـــالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[8]، "خصَّ اللّه تعالى الوحدانية، والرَّحمة بالذكر دون غيرهما من الصفات؛ لتذكير الكافرين الكاتمين للحق بأن لا ملجأ أمامهم غير اللّه لاتقاء عذابه؛ ولترغيبهم بالتوبة، وعدم اليأس من فضله"[9].

وفي قصة آدم عليه السلام، دعوة صريحة إلى عدم اليأس والقنوط، وفيها نشر لفضـــاء واسع من الأمل والرجاء، فبعد أن بين الله سبحانه وتعالى حال آدم عليه الســـلام وزوجـــه مـــع إبليس - لعنه الله - وكيف ارتكبا خطيئة بالأكل من الشجرة المشار إليها في الآيات، فتح لهم باب التوبة قـــائلاً: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[10].

---

[1] سورة الزمر، آية 53 .

[2] سورة الزمر، آية 53 .

[3] الآلوسي، **روح المعاني**، (61/4).

[4] سورة النجم، آية 32 .

[5] سورة الزمر، آية 53 .

[6] الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير**، (121/27).

[7] المراغي، **تفسير المراغي**، (60/27).

[8] سورة البقرة، آية 163 .

[9] الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير**، (59/2).

[10] سورة البقرة، آية 37 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و"خطيئة آدم كانت خطيئته الشخصية، والخلاص منها كان بالتوبة المباشرة في يسر وبساطة، وخطيئة كل ولد من أولاده خطيئة كذلك شخصية، والطريق مفتوح للتوبة في يسر وبساطة، تصور مريح صريح، يحمل كل إنسان وزره، ويوحي إلى كل إنسان بالجهد والمحاولة وعدم اليأس والقنوط"[1].

وفي غزوة أحد، وبعد أن تراجع قسم كبير من المسلمين، وانهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنزل الله عفوه ومغفرته عليهم، ليس هذا فقط؛ بل أعاد ذكر المغفرة والعفو مرة ثانية، وفي هذا تأكيد لطمع المذنبين في عفوه تعالى ذكره، ومنعاً لهم عن اليأس، وتحسين للظنون بأتم وجه، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، ثم كرر عفوه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[3]،[4].

ومن الآيات التي اقترن فيها ذِكْرُ العقوبة مع الرحمة، قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5]، وتحت هذه الآية يقول ابن كثير: "وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة؛ لئلا يحصل اليأس، فيقرن تعالى بين الترغيب، والترهيب كثيرا؛ لتبقى النفوس بين الرجاء، والخوف"[6].

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (61/1).

[2] سورة آل عمران، آية 152 .

[3] سورة آل عمران، آية 155 .

[4] انظر: الآلوسي، **روح المعاني**، (99/4).

[5] سورة الأعراف آية 167 .

[6] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (260/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالإنسان عندما يقع في قلبه، ويتيقن: أن الله واسع المغفرة، وأنه شديد العقاب، يمضي في حالة وسط بين الخوف، والرجاء، لا يسيطر عليه الخوف، فيقع في اليأس من رحمة الله، ولا يطغى الرجاء فيقع في الأمن من مكر الله، ففي قوله تعالى:﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[1]، يقول الشوكاني: "أي: أخبرهم يا محمد أني أنا الكثير المغفرة لذنوبهم، الكثير الرحمة لهم، كما حكمت به على نفسي: إن رحمتي سبقت غضبي...، ثم إنه سبحانه لما أمر رسوله بأن يخبر عباده بهذه البشارة العظيمة، أمره بأن يذكر لهم شيئا مما يتضمن التخويف والتحذير؛ حتى يجتمع الرجاء والخوف، ويتقابل التبشير والتحذير؛ ليكونوا راجين خائفين، فقال:﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾،أي: الكثير الإيلام، وعندما جمع الله لعباده بين هذين الأمرين، من التبشير والتحذير، صاروا في حالة وسطا بين اليأس والرجاء، وخير الأمور أوساطها، وهي القيام على قدمي الرجاء والخوف، وبين حالتي الأنس والهيبة"[2].

وبعد هذه الجولة العلاجية الطويلة لداء اليأس، يتبين أن خط الدفاع الأول، والبارز في قضية العلاج هو: الإيمان القوي الصادق، النابع من قلب متصل بالله عز وجل، ويندرج تحت هذا الإطار بقية الأطر العلاجية، فالإنسان عندما يرتفع منسوب الإيمان واليقين لديه، تتحسن علاقته بخالقه وتعتدل، فيزداد توكله عليه، ويقوى حسن ظنه به سبحانه وتعالى، وتتعمق لديه قضية الإيمان بالقضاء والقدر، فيتوجه إلى الله بالدعاء، والاستغفار، وهذا كله من شأنه أن يرفع مستويات الأمل، ورجاء المغفرة والرحمة من الخالق عز وجل، ويضع الإنسان في حصن منيع، لا تقوى عوامل الهدم من يأس، وحزن، واكتئاب، وقلق، على الفتك به، أو تقويض بنيانه، فيعيش حالاً وسطاً، بين الخوف من عذاب الله، والطمع في مغفرته ورضوانه.

وهذه المحطات العلاجية، والوقفات المضيئة، يمكن أن تستخدم كسبل وقاية، وأساليب حماية، تقوم بتحصين المسلم، وحمايته قبل الوقوع في شباك اليأس والإحباط.

---

[1] سورة الحجر، الآيتان، (49،50).

[2] الشوكاني، **فتح القدير**، (134/3)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وكرمه تُقْبَل الطاعات، أحمده سبحانه على ما يسَّر وأعان، ودبَّر وألان، وأصلي وأسلم وأبارك على إمام الدعاة وسيد الأخيار، معلم الناس الخير، وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد.

فإنه من المفيد في ختام هذه الدراسة، وبعد التجوال والتطواف في كتب التفسير وكتب الأخلاق فيما يتعلق بموضوع الدراسة، أن تورد الباحثة أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

1 - كل ما جاء في القرآن الكريم من يأس فهو بمعنى القنوط إلا آية الرعد ﴿أَفَلَمْ يَايْئَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ ، جاءت بمعنى: العلم.

2 - من صور اليأس الواردة في القرآن الكريم: اليأس من رحمة الله، وهو يعد من باب سوء الظن بالله، ويطلق عليه اليأس المذموم، وبالمقابل هناك يأس محمود، وهو اليأس مما في أيدي الناس، وقطع الرجاء بهم، ولكنه لم يذكر في القرآن الكريم، وإنما ورد ذكره في ثنايا كتب الأخلاق والزهد والحديث.

3 - من صور اليأس الواردة في القرآن الكريم: يأس اليهود والكفار والمنافقين ومن تخلق بأخلاقهم وحذا حذوهم من الآخرة؛ أن يرحمهم الله فيها ويغفر لهم.

4 - يأس الكفار من هزيمة دين الله، والصدِّ عنه، يُعَدُّ بشارة ووعداً من الله سبحانه وتعالى بنصرة هذا الدين، ونصرة نبيه الكريم، وعباده المؤمنين، ويعد دافعاً قوياً للمسلمين في طريق محاربتهم لأعداء الدين، في الوقت الذي تزول فيه خشيتهم من القلوب؛ بسبب ضعفهم الناتج عن يأسهم من النيل من دين الله.

5 - اليأس من الحيض يؤدي بطبيعة الحال إلى اليأس من الإنجاب، وهذه مرحلة توحي بالضعف والذبول والتراجع العاطفي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6 - الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد يعتريهم الهم والحزن والضيق، ولكن لا يمكن أن يصلوا إلى مرحلة اليأس الحقيقي، ولكن الذي حصل، ويمكن أن يحصل هو يأس الأنبياء من إيمان أقوامهم.

7 - هناك علاقةٌ وثيقةٌ، وتلازمٌ قويٌ بين الكفر واليأس.

8 - ارتكاب المعاصي والذنوب، كفيل بأن يوقع الإنسان في أوهام اليأس والقنوط، في حال عدم توبته، وعدم رجوعه إلى الله سبحانه وتعالى.

9 - الابتلاءات والمحن محطات صعبة في مسار الحياة، قد توقع صاحبها في اليأس والقنوط، وكلما ازداد منسوب الإيمان في النفس، واشتد تغلغله في جنباتها، كان استيعاب النفس للابتلاء أشد، وصبرها عليه أعمق.

10 - من أهم سبل العلاج التي تقي الإنسان شرور اليأس والاكتئاب: الإيمان الصادق المتمثل بالصبر والعمل الصالح.

11 - تدور سبل الوقاية والعلاج من اليأس حول التوكل على الله سبحانه وتعالى، والإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح، والالتجاء إليه سبحانه بالذكر والدعاء، والاستجابة لأمره بالتمسك بالأمل والرجاء، كل هذا موشح بحسن الظن بالله عز وجل، وتوقع الخير منه دائماً في كل الظروف وفي كل الأوقات.

12 - النهي عن اليأس والقنوط يعد أسلوباً من أساليب القرآن الكريم في علاج اليأس، و استجابة المؤمن لهذا الأسلوب، تعد خير دواء، وخير علاج لمرض اليأس، وشروره.

13 - من أساليب القرآن الكريم التي من شأنها أن تحد من ظاهرة اليأس والقنوط: إيراد الآيات الكثيرة التي تبين سعة رحمة الله بعباده، وتوبته عليهم، وأن إيمان العبد بهذه الرحمة الواسعة كفيل بأن يضع الإنسان في حالة وسط بين الخوف والرجاء، فيكون أبعد ما يكون عن اليأس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسارد

مسرد الآيات القرآنية

مسرد الأحاديث النبوية

مسرد الأعلام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسرد الآيات القرآنية

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
1	{ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ}	الفاتحة	7	71
2	{ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ... }	البقرة	37	107
3	{ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ...}	البقرة	45	82
4	{أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ...}	البقرة	75	55
5	{لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا ...}	البقرة	111	34
6	{وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ... }	البقرة	132	104
7	{إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ... }	البقرة	153	83
8	{وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ...}	البقرة	155	66
9	{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ...}	البقرة	156	66
10	{وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ...}	البقرة	163	107
11	{إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ...}	البقرة	166	35
12	{لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ...}	البقرة	167	36
13	{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى...}	البقرة	186	98
14	{أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ...}	البقرة	187	22 ،21
15	{وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ...}	البقرة	191	39
16	{ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ...}	البقرة	194	39
17	{وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ...}	البقرة	195	103
18	{حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ ...}	البقرة	214	49
19	{ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٞ...}	آل عمران	40	47

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
20	{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ...}	آل عمران	102	103
21	{لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ...}	آل عمران	127	21
22	{وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً...}	آل عمران	135	106
23	{وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ...}	آل عمران	139	105 ،104
24	{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ...}	آل عمران	144	70
25	{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ...}	آل عمران	152	108
26	{لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ...}	آل عمران	154	105
27	{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ...}	آل عمران	155	108
28	{ٱلَّذِين قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ...}	آل عمران	173	87
29	{فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ...}	آل عمران	174	87
30	{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ...}	النساء	48	89
31	{ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ... }	المائدة	3	39 ،37
32	{نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ... }	المائدة	18	34
33	{يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ... }	المائدة	64	34
34	{فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ...}	المائدة	68	56
35	{ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ...}	الأنعام	44	20
36	{وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ...}	الأعراف	56	97 ،88
37	{فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ...}	الأعراف	79	54
38	{إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ...}	الأعراف	167	108

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
39	{إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ...}	الأنفال	22	72
40	{وَلَو عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا ...}	الأنفال	23	72
41	{قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ...}	التوبة	51	70
42	{ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ...}	التوبة	80	36
43	{وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ...}	التوبة	106	99
44	{وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ...}	التوبة	118	99
45	{وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ...}	يونس	71	87
46	{وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ...}	هود	9	67، 79
47	{وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ...}	هود	10	79
48	{إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ...}	هود	11	79
49	{وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ ...}	هود	36	105
50	{وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ...}	هود	71	47
51	{قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ...}	هود	72	47
52	{إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ...}	يوسف	79	45
53	{فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ ...}	يوسف	80	9، 36، 42، 44
54	{قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ ...}	يوسف	83	96
55	{قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ...}	يوسف	86	53، 86
56	{وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ...}	يوسف	87	14، 19، 27، 51، 55، 58، 79، 86، 101، 102

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
57	{حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ...}	يوسف	110	9، 48، 49، 50
58	{ٱلَّذِين ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم...}	الرعد	28	101
59	{أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...}	الرعد	31	14
60	{وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ...}	إبراهيم	15	21
61	{نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ...}	الحجر	49	109
62	{وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ}	الحجر	50	109
63	{وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ}	الحجر	51	102
64	{إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا...}	الحجر	52	102
65	{قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ...}	الحجر	53	102
66	{قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ...}	الحجر	54	102
67	{قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ...}	الحجر	55	102، 103
68	{وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ...}	الحجر	56	19، 59
69	{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ ...}	الحجر	97	83، 100
70	{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ... }	الحجر	98	83، 100
71	{وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ. }	الحجر	99	83، 100
72	{مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ...}	النحل	97	78
73	{وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ...}	الإسراء	83	19، 59
74	{فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ...}	الكهف	6	55
75	{وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ...}	الكهف	53	36

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
76	{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي...}	مريم	4	96
77	{وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي...}	مريم	5	96
78	{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ...}	مريم	6	96
79	{وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ...}	طه	111	59 ،21
80	{وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي...}	طه	124	101
81	{فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ...}	طه	130	100
82	{لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ...}	الأنبياء	87	100
83	{ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ...}	الأنبياء	88	100
84	{مَن كَانَ يَظُنُّ...}	الحج	15	40
85	{رَبَّنَا أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا...}	المؤمنون	107	35
86	{ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ...}	المؤمنون	108	63
87	{وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ...}	النور	60	46
88	{وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا...}	الفرقان	48	30
89	{لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ}	الشعراء	3	55
90	{أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...}	النمل	62	97
91	{وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ...}	العنكبوت	23	15، 28، 58، 60، 72
92	{وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ...}	العنكبوت	26	54
93	{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ...}	العنكبوت	45	84
94	{وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ...}	الروم	12	62

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
95	{وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ ...}	الروم	13	62
96	{وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً...}	الروم	36	19، 69، 93
97	{أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ...}	الروم	37	93
98	{ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ...}	الروم	48	32
99	{وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ...}	الروم	49	32
100	{فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ...}	الروم	50	30
101	{وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ...}	السجدة	12	35
102	{ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَـٰبَ ...}	فاطر	32	90
103	{وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ }	الصافات	83	54
104	{إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ }	الصافات	84	54
105	{إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ ...}	الصافات	85	54
106	{أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ }	الصافات	86	54
107	{ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ }	الصافات	87	54
108	{فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِى ٱلنُّجُومِ}	الصافات	88	54
109	{فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ}	الصافات	89	54
110	{فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ }	الصافات	90	54
111	{ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ...}	الزمر	23	101
112	{قُلۡ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ...}	الزمر	53	17، 18، 28، 64، 88، 102، 107
113	{قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ...}	غافر	11	35

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
114	{وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ...}	فصلت	49	19، 23، 24، 61، 67، 68
115	{وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ ...}	فصلت	51	68
116	{وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ...}	الشورى	28	31
117	{إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ...}	الزخرف	74	61
118	{لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}	الزخرف	75	61
119	{وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا ...}	الزخرف	77	63
120	{وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ...}	محمد	2	81
121	{وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}	الذاريات	22	93
122	{فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ...}	الذاريات	28	47
123	{فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ...}	الذاريات	29	47
124	{إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ...}	النجم	32	107
125	{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ...}	الحديد	22	92
126	{لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ...}	الحديد	23	92
127	{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ...}	الممتحنة	13	33، 71، 75
128	{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ...}	الطلاق	3	85
129	{وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ ...}	الطلاق	4	45
130	{إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا}	المعارج	19	24، 82
131	{إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا}	المعارج	20	24، 82
132	{وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا}	المعارج	21	24، 82

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
133	{إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ}	المعارج	22	82
134	{ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ}	المعارج	23	82
135	{وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ}	المعارج	24	82
136	{لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ}	المعارج	25	82
137	{وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ}	المعارج	26	82
138	{وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم...}	المعارج	27	82
139	{إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ}	المعارج	28	82
140	{وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ}	المعارج	29	82
141	{إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ...}	المعارج	30	82
142	{فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ...}	المعارج	31	82
143	{وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ...}	المعارج	32	82
144	{وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ}	المعارج	33	82
145	{وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ}	المعارج	34	82
146	{وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗا...}	نوح	24	53
147	{وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ...}	نوح	26	53
148	{إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ...}	نوح	27	53
149	{وَٱلضُّحَىٰ}	الضحى	1	90
150	{وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ}	الضحى	2	90
151	{فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا}	الشرح	5	91

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
152	{إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا}	الشرح	6	91
153	{فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ}	الشرح	7	83
154	{وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب}	الشرح	8	83

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسرد الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	المرجع	الصفحة
1	إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون	صحيح مسلم	41
2	إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة	صحيح البخاري	27
3	اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن	صحيح البخاري	98
4	عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير	صحيح مسلم	79
5	كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم	صحيح البخاري	21
6	لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله	صحيح مسلم	104
7	ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن	مسند أحمد بن حنبل	98
8	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب	صحيح البخاري	70
9	يا بلال: أقم الصلاة، أرحنا بها	سنن أبي داود	84
10	يا غلام: إني أعلمك كلمات	سنن الترمذي	94
11	يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي	صحيح البخاري	95

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسرد الأعلام

الرقم	العلم	الصفحة
1	آرون بيك	11
2	الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب	7
3	إلياس بن مضر بن نزار، أبو عمرو	8
4	ابن جريج: أبو خالد، عبد الملك بن عبد العزيز	24
5	أبو سليمان السعدي المفسر	21
6	صفي الدين عبد المؤمن بن الخطيب	30
7	عبيدة بن عمرو السلماني المرادي	103
8	عروة بن حزام العذري	8
9	قتادة بن دعامة بن قتادة، أبو الخطاب السدوسي	74
10	أبو قلابة: عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي	103
11	قيس بن صرمة	21
12	الليث بن رافع بن نصر بن سيار	9
13	محمد بن سيرين البصري، أبو بكر	32
14	اليربوعي: سحيم بن وثيل الرياحي الحنظلي	8
15	يزيد بن القعقاع المدني	48

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المراجع والمصادر

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (ت:630هـ)، **اللباب في تهذيب الأنساب**، دار صادر - بيروت، (طبعة سنة 1400هـ/1980م).

الأدنروي، أحمد بن محمد، **طبقات المفسرين**، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، (ط1/1417هـ/1997م).

الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد (ت :370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ط1/2001م).

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - لبنان، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

الألباني، محمد ناصر الدين، (ت: 1420هـ)، **الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي - بيروت.

السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف - الرياض، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

الآلوسي، أبو الفضل محمود (ت:1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل (ت:256هـ)، **صحيح البخاري**، الموسوم بـ(الجامع الصحيح المختصر)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – بيروت، (ط3/1407هـ/1987م).

البخاري، علاء الدين عبد العزيز، **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي**، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية – بيروت، (طبعة سنة 1418هـ /1997م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد،(ت:516هـ)، **معالم التنزيل في التفسير**، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة-بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

البقاعي أبو الحسن، برهان الدين إبراهيم بن عمر (ت:885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة سنة (1415هـ/1995م).

البيضاوي،عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت:685هـ)، **تفسير البيضاوي** الموسوم بـ**(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، دار الفكر – بيروت (بدون طبعة ولا سنة نشر).

البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي، (ت:458هت)، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، (طبعة سنة 1414هـ/1994م).

الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى السلمي، (ت:279هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

التستري، أبو محمد، سهل بن عبد الله، **تفسير التستري**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ــ بيروت، (ط1/1423هـ).

توفيق، محمود، **شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية**، (ط1/1422هـ).

الثعالبي، أبو زيد،عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت:875هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت (بدون طبعة ولا سنة نشر).

الجزائري، أبو بكر، جابر بن موسى، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، (ط5/1424هـ/2003م).

عقيدة المؤمن، دار المنار، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن الجزري، شمس الدين، محمد بن محمد بن يوسف، (ت: 833هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

ابن جني، أبو الفتح، عثمان، (ت:392هـ)، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، علم الكتب - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي – بيروت (ط1404/3هـ).

نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ط1404/1هـ / 1984م).

ابن الحاجب، أبو عمرو، عثمان بن عمر الدويني، (ت: 646هـ)، **الشافية في علم التصريف**، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية - مكة، (ط1415/1هـ/1995م).

الحاكم، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت:405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1411/1هـ/1990م).

ابن حبان البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد (ت:354هـ)، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت – (طبعة سنة 1397 / 1977).

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ)،**الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت (ط1412/1هـ /1992م).

فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عجب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن حزام، عروة، **ديوان عروة بن حزام**، تحقيق: القوال، أنطوان محسن، دار الجيل – بيروت، (ط1/1416هـ/1995م).

حقي، إسماعيل بن مصطفى، (ت:1127هـ)، **تفسير روح البيان**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

ابن أبي الصلت، الحكم، **ديوان الحكم بن أبي الصلت**، (بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر).

الحموي، ياقوت بن عبد الله، (ت:626هـ)، **معجم الأدباء**، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/1411هـ/1991م).

ابن حنبل، أحمد، (ت:241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة - مصر، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت:745هـ)، **البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1/1422هـ/2001م).

الخازن، علاء الدين علي بن محمد، (ت:741هـ)، **تفسير الخازن** الموسوم بـ (**لباب التأويل في معاني التنزيل**)، دار الفكر – بيروت، (طبعة سنة 1399هـ/1979م).

الخطيب، عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي - القاهرة، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت:681هـ)، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة - لبنان، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دروزة، محمد عزَّت، **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، (طبعة سنة 1383هـ).

ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي، (ت:321هـ)، **المطر والسحاب**، (بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر).

الذهبي، أبو عبد الله، محمد شمس الدين، (ت:748هـ)، **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى.

طبقات القرَّاء، تحقيق: أحمد خان، (ط1/1418هـ/1997م).

الكبائر، مطبعة الأنوار المحمدية – القاهرة ، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، المعروف بابن الخطيب الشافعي، (ت:606هـ)، **التفسير الكبير** الموسوم بـ**(مفاتيح الغيب)**، دار الكتب العلمية – بيروت ، (ط1/1421هـ/ 2000م).

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت 721هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، (طبعة سنة : 1415هـ / 1995م).

ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت:795هـ)، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باحس، مؤسسة الرسالة - بيروت ، (ط7/ 1417هـ / 1997م).

الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، (ط1/ 1425هـ/2005م).

رضا، محمد رشيد، (ت:1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم، الموسوم بـ(تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة سنة(1990م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرضي، محمد بن الحسن الاستراباذي، (ت: 686هـ)، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد يحيى عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت 1301هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير**، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة (1418هـ).

الزركشي، أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت:794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، طبعة سنة (1391هـ).

الزركلي، خير الدين بن محمود بن علي الدمشقي (ت:1396هـ)، **الأعلام** ، دار العلم للملايين - بيروت، (ط5/1980).

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (ت538هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت.

ابن أبي زمنين، محمد بن عبد الله، (ت: 399هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة - القاهرة، (ط1/1423هـ/2002م).

ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد، (ت:نحو:403)، **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ط5/1418هـ).

الساعاتي، أحمد عبد الرحمن، (ت:1378هـ)، **بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني**، اعتنى به: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السبكي، علي بن عبد الكافي، **الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق: جماعة من العلماء، (ط1/1404هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت:1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة – بيروت (طبعة سنة 1421هـ/2000م).

الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، مؤسسة النور، الرياض، طبعة سنة (1378هـ).

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت:982هـ) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

ابن أبي سلمى، زهير، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، شرح: الأعلم الشنتمري، المكتبة التجارية - مصر (بدون طبعة ولا سنة نشر).

السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار، (ت:489هـ)، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – السعودية، (ط1/1418هـ/1997م).

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد(ت:581هـ)،**الروض الأنف**، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار النصر – القاهرة، (ط1/1387هـ/1967م).

ابن سيدة، أبو الحسن، علي بن إسماعيل المرسي (ت:458هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية -بيروت، (ط1/2000م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت:911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر - لبنان، (ط1/1416هـ/1996م).

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (ت:1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر – بيروت، (طبعة سنة 1415هـ/1995م).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت:1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر – بيروت (بدون طبعة ولا سنة نشر).

الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، (ت:211هـ)، **تفسير القرآن**، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد،مكتبة الرشد – الرياض، (ط1/1410هـ).

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (360هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مكتبة الزهراء – الموصل ، (ط2/1404هـ/1983م).

الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت: 310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة (1405هـ).

الطحاوي، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة، (ت:321هـ)، **العقيدة الطحاوية**، دار ابن حزم – بيروت، (ط1/1416هـ/1995م).

الطغرائي، أبو إسماعيل، الحسين بن علي، (ت:513هـ)، **ديوان الطغرائي**، مطبعة الجوائب - القسطنطينية، (ط1/1300هـ).

طنطاوي، محمد يوسف، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر).

ابن عادل، أبو حفص، عمر بن علي الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت ، (ط1/1419هـ/ 1998م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن عاشور، محمد الطاهر (ت:1393هـ)، **التحرير والتنوير**، دار سحنون – تونس، (طبعة سنة 1997م).

عباس، فضل، **التفسير أساسياته واتجاهاته**، مكتبة دنديس - عمان، (ط1/1426هـ/2005م).

عبد الباقي، محمد فؤاد (ت:1388هـ)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر - بيروت (طبعة سنة 1407 هـ /1987م).

أبو عبيدة، معمر بن المثنى، (ت:210هـ)، **مجاز القرآن**، مكتبة الخانجي – القاهرة (بدون طبعة ولا سنة نشر).

العثيمين، محمد بن صالح (ت:1421هـ)، **القول المفيد على كتاب التوحيد**، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الجديدة، (طبعة سنة 1423هـ).

ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، (ت:541هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

ابن عقيل، بهاء الدين، عبد الله، (ت: 769هـ)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر - سوريا، (طبعة سنة 1405هـ/1985م).

علي بن أبي طالب، **ديوان علي** ، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، (ط1/1409هـ/1988م).

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري، **(ت:1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، و محمود الأرناؤوط، دار بن كثير - دمشق، (ط1/1406هـ).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (ت:505هـ)، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة - بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن فارس، أبو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا (ت:395هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة**، (بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر).

معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة (1399هـ/1979م).

الفرَّاء، أبو زكريا، يحيى بن زياد (ت:207هـ)، **معاني القرآن**، عالم الكتب – بيروت، (ط3/1403هـ -1983م).

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد (ت:175هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي، و د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

الفيروز آبادي، مجد الدين بن يعقوب (817هـ)، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة – بيروت (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

ابن قدامة، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، (ت:682هـ)، **مختصر منهاج القاصدين**، خرَّج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله الليثي الأنصاري، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة(1408هـ/1987م).

القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت:514هـ)، **تفسير القشيري**، الموسوم بـ **(لطائف الإشارات)**، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1/1420هـ -2000م).

قطب، سيد (ت:1386هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق - القاهرة (طبعة سنة 1401هـ/1981م).

القمي، نظام الدين، الحسن بن محمد، (ت: بعد 850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1/1416هـ/1996م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر،(ت: 507هـ)، **أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الدارقطني**، تحقيق: محمود حسن نصار، والسيد يوسف، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/1419هـ/1998م).

ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر (أيوب) الزرعي،(751هـ)، **الفوائد**، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط2/1393هـ/1973م).

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، (ط2/1393هـ/1973م).

الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت:764هـ)، **فوات الوفيات**، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/2000م).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت:774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر – بيروت (طبعة سنة 1401هـ).

الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد، (ت:741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي – لبنان، (ط4/1403هـ/1983).

ماضي، جمال أبو العزائم، **القرآن والصحة النفسية، (تأملات في الآيات القرآنية المتعلقة بالصحة النفسية)**، (ط1/1414هـ/1994م).

الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد، (ت:450هـ)، **أدب الدنيا والدين**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان - المنصورة، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

تفسير الماوردي المسوم بـ **(النكت والعيون)**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

المراغي، أحمد مصطفى (ت:1364هـ)، **تفسير المراغي**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت:261هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

معمرية، بشير، **بحوث ودراسات في علم النفس**، المكتبة العصرية ــ المنصورة، (ط1/2009م).

المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت:1031هـ)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبرى – مصر ،(ط1/1356هـ).

ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت: 750هـ)، **لسان العرب**، دار صادر - بيروت، (ط1/1410هـ).

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم – دمشق ، (ط5/1420هـ/1999م).

النسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، **سنن النسائي (المجتبى)**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، (ط2/1406هـ/1986م).

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت:710هـ)، **تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس - بيروت ، (طبعة سنة 2005م).

النميسي، محمد عبد الحميد، وذلك في تحقيقه لكلام المقريزي، تقي الدين، أحمد بن علي، (ت:845هـ)، **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/1420هـ/1999م).

نوح، محمد، **آفات على الطريق**، دار الوفاء - المنصورة، (ط6/1420هـ/1999م).

أبو هلال العسكري،الحسن بن عبد الله بن سهل (ت:395هـ)، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة - القاهرة، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النووي، أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري، (ت:676هـ)، **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط2/1392هـ).

الواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد، (ت: 468هـ)، **أسباب النزول**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/1411هـ/1991م).

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية - بيروت، (ط1/1415هـ).

الوطواط، أبو إسحاق، برهان الدين، محمد بن إبراهيم، (ت:718هـ)، **مباهج الفكر ومناهج العبر**،(بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر).

وكيع، أبو سفيان، ابن الجراح بن مليح بن عدي الرؤاسي، (ت:197هـ)، **الزهد**، (بدون ذكر الدار ولا الطبعة ولا سنة النشر).

http://www.almtoon.com/show.php?id=29

http://www.bayan-alquran.net/forums/showthread.php?t=3255- 125

http://www.cbtarabia.com

http://www.emanway.com/content/6677/

http://www.hayatnafs.com/kadaya_nafsia_ijtema3ia/on-suicide.htm

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Despair (Quranic study)

By
Fatima Ahmed Mahmud Al Haj Hasan

Supervised by
Dr. Mohsen Sameeh Al Khaldi

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Deen), Faculty of Graduate Student, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2011

www.manaraa.com

Despair (Quranic study)

By
Fatima Ahmed Mahmud Al Haj Hasan
Supervised by
Dr. Mohsen Sameeh Al Khaldi

Abstract

This study is a Quranic one and a step towards the objective interpretation of the Holy Quran in which the researcher discussed the issue of Despair through verses from the Holy Quran. The study is divided into 4 chapters, an introduction and a conclusion.

In the introduction, the researcher talked about the importance of this study and highlighted its significance through discussing the global enmity and deception that the Islamic nation faces these days which yielded many difficulties and crises that increased depression and Despair among the Muslim population around the world.

In chapter one, the researcher discussed the definition of Despair in language, dictionary and in the Quranic context, while in the second chapter the researcher talked about the different faces of Despair and the position of prophets towards it.

In the third chapter, the researcher explained the reasons behind Despair and the punishment and destiny of hopeless people. The fourth chapter included an explanation of the possible ways of prevention and treatment that can protect the human being from the evils and negative impacts of Despair.

www.manaraa.com

The researcher referred to interpretation books, Hadith, ethics books, language and translations to conduct her research with a special focus on interpretation books and the statements made by Muslim interpreters and scholars.

In the conclusion, the researcher included a number of results that the study yielded:

1- There is a close relationship between blasphemy (Kufr) and Despair and that the person who surrenders to Despair is the one whose heart is no longer filled with belief in God; he who becomes a disbeliever is the one who has become hopeless of his connection with Allah.

2- The mentioning of Despair in the Holy Quran came under the meaning of "Despair", except in Al-Ra'ed verse where it came under the meaning of "Knowledge".

3- Committing sins is enough to trick a human being into falling into the illusions of Despair and despair in case he does not repent and return back to Allah.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.

www.manaraa.com